



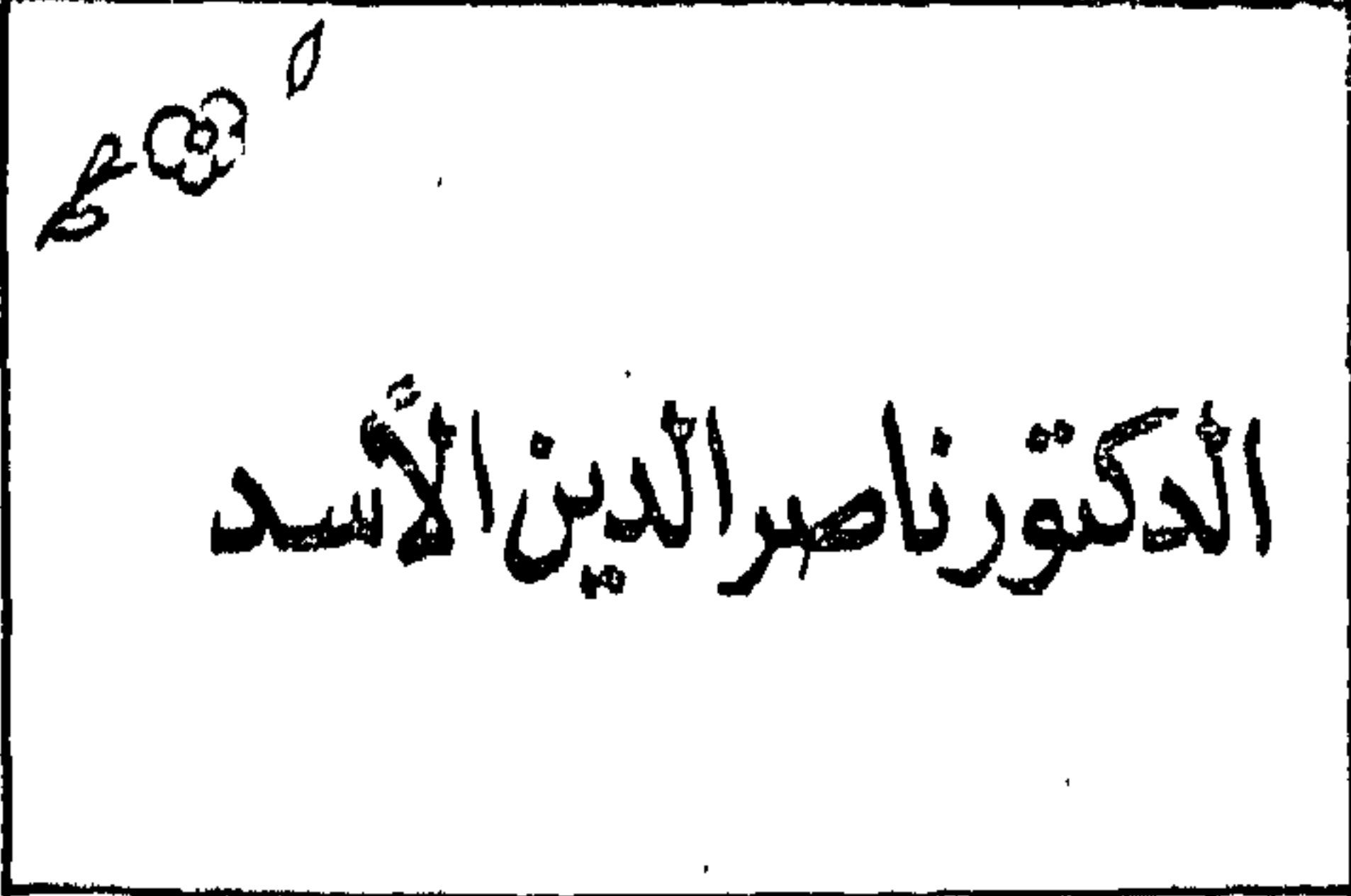
في الساعة الخامسة من مساء الخميس ١٢ من المحرم سنة ١٣٩٣ هـ

(الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٧٢ م) أقام المجمع حفل استقبال الدكتور

ناصر الدين الأسد عضو المجمع الجديد من الأردن . وفيما يلي ما ألقى

في الحفل :

كلمة الافتتاح للدكتور عبد الرزاق محيي الدين في استقبال :



فحسب ، بل ونسبة ثقافة وأدب ، وله في البلاد العربية جهاد وطني وأساتذة وطلاب ، ومعارف وقراء ، وله قبل كل شيء هذه النخبة الصالحة من المصريين : أساتذة وطلابا .
باسم المجمع — مجمع اللغة العربية — أتقدم بتحية الزميل الكريم ، وأتشرف بتقديمه في هذه المناسبة ، والكلمة الآن للزميل الدكتور محمد مهدي علام .

● الدكتور عبد الرزاق محيي الدين :

باسم الله نفتتح الجلسة التي نستقبل فيها الأستاذ الجليل الدكتور ناصر الدين الأسد ، وكان من أعز أمانى أن أشهد هذا اليوم ، ولعل جميع العارفين بفضل الرجل كانوا يتطلعون في شوق إلى هذا اليوم . والدكتور ناصر وإن كان أردني مكان الولادة إلا أنه عربي منسوب إلى الأمة العربية على اتساعها أوطانا لا نسبة دم

كلمة الدكتور محمد مهدي علام . . .

وإذا كان الممتازون من رجال العلم والفكر يتطلعون إلى شرف العضوية في المجمع العلمية ، فإن هذه المجمع تتطلع كذلك إلى هؤلاء الأعلام لتتألف بهم ما يخلو فيها من الكراسي ، ليحل عالم جليل محل عالم جليل ، ولتظل الشعلة وهاجته تضيئ السبيل أمام الأمة التي تنشئ هذه المجمع العلمية .

سيدى الرئيس ، سيداتى ، سادتى :

هذا يوم مشهود من أيام مجيعنا الموقر ، يوم يسعد فيه باستقبال عضو جديد يضم إلى كفاياته اللغوية والأدبية كفاية ممتازة ، ذات تاريخ وثيق في ميادين اللغة والأدب والثقافة ، وكل ما يتصل بالفكر العربي الرفيع .

ومجمعنا هذا حريص على اختيار الأعلام
الثقات الذين تتمثل فيهم أهدافه في خدمة اللغة
العربية وأدبها على أعلى مستوى . وفي سبيل
ذلك يختار من صفوف أعلام البلاد العربية من
يمثلون بلادهم ليكونوا مع زملائهم المصريين
سدنة لهذه الكعبة العربية ، وحماة لهذا المعقل
الحصين .

واليوم يشرفني المجمع أن أنوب عنه
في عمل يسعدني أن أقوم به لصديق كريم :
أن أستقبل باسمه الأستاذ الدكتور ناصر الدين
الأسد .

ومهما يكن العضو الجديد الذي نستقبله
معروفا لنا ولغيرنا ، فقد قضت التقاليد
المجمعية أن يذكر مستقبله شيئا عن حياته
العلمية . ولولا ذلك لكان الدكتور ناصر
الدين الأسد في غنى عن أن أقول عنه أكثر
من قولي : مرحبا بك أيها الزميل الجديد
في حرم المجمع عضوا نعتز بزمالته .

ولكنني متابعة لهذه التقاليد ، أقدم زميلنا
الجديد بأنه من مواليد العقبة في الأردن في
الرابع عشر من شهر ديسمبر (كانون الأول)
سنة ١٩٢٢ .

وقد درس في الكلية العربية بالقدس ،
وحصل منها على الشهادة الثانوية الإنجليزية
(المتريكوليشن) سنة ١٩٤١ ، وبعد سنتين
حصل على دبلوم التربية والتعليم من نفس
الكلية . ثم التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة ،
وحصل منها على الليسانس الممتازة سنة ١٩٤٧

وتابع دراساته العليا فيها ، فحصل على
الماجستير سنة ١٩٥١ بتقدير جيد جدا .
وكانت رسالته لها عن « القيان والغناء في
العصر الجاهلي » .

ومع ما بذل من جهد ، وأنفق من وقت ،
وحقق من نتائج ، في هذا الميدان ، فقد
أحسن - كما يقول - أنه يسير في طريق
لا يكاد يستبين فيه مواطن قدميه ، وأن عليه أن
يعود أدراجه ، ليبدأ بداية جديدة ، لا يخطو
فيها إلا بعد تثبيت وتيقن ؟

يقول : « وعدت ، وبدأت الطريق من
أوله ، وقضيت أربع سنوات أخرى ،
خرجت منها بهذا البحث لدرجة الدكتوراه ،
وأنا مقتنع بأن هذا الموضوع الذي أبحثه هو
الخطوة الأولى الصحيحة التي تسبق كل خطوة
غيرها ، في سبيل دراسة الشعر الجاهلي » .

وبذلك حصل ذلك الدارس الجاد على
درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز في سنة ١٩٥٥ ،
على بحثه عن « مصادر الشعر الجاهلي ، وقيمتها
التاريخية » .

وإذا حدثت امرأ نفسه بأن هذا الدارس
كان يسير في أرض معبدة ، وأنه كان
يبحث موضوعا مطروقا ، فليقرأ هذا السفر
العظيم الذي يربو على سبعمئة صفحة من القطع
الكبير ، ليرى أن الأناة العلمية ، وإسباغ
الدقة على مكاره التنقيب ، يتمثلان في عمل
من أهم أعمال الدكتور ناصر الدين الأسد ،

إن لم يكن حقاً أهمها ، ذلك هو بحثه في مصادر الشعر الجاهلي .

فمع وفرة ما كتب في هذا الميدان ، بأقلام الباحثين العرب والمستشرقين ، ومع انتشار عثير المعارك التي خاضها فيه العلماء والمؤرخون ، لم يتردد « الأسد » أن يقتحم العرين ، ليثبت أنه صاحبه حقاً .

ولكنني لا أنصف الدكتور ناصر الدين الأسد إذا وقفت في تقديره عند هذين العاملين العظيمين . مهما بلغا في دقة البحث وعمقه ، فإن له سلسلة من المؤلفات والبحوث المنشورة ، يقف القارئ أمامها في دهشة وإعجاب ، لتنوعها في إطار وحدتها .

ويتضح هذا التنوع في إطار الوحدة من عبارة وردت في بحث قدمه باسم « التراث والمجتمع » الجديد ، إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس في بغداد سنة ١٩٦٥ .

فقد عرض في هذا البحث الاتجاهين المتضادين في العكوف على التراث وفي إهماله ، ثم أعلن رأيه في اتجاه ثالث ارتضاه ، قائلاً :

« وقامت مع هاتين الطائفتين ، واستمرت معهما تواكبهما ، طائفة ثالثة ، هي أقرب الثلاث إلى الفهم السليم ، وإلى طبيعة الحياة الصحيحة ، جمعت بين الحسينيين ، ورأت أن الحياة لا يمكن أن تجمد وتقف حيث كانت ، ولكنها في الوقت نفسه لا يمكن أن تنطلق متحللة من كل نظام يربطها بخصائصها ومقوماتها التي تتمثل في تراثها ؛ فأنزلت هذه الطائفة

قديمها في منزله الصحيح ، وعكفت عليه تدرسه وتحبيه وتجده ، وتستخرج كوامنه ، وتجلو روائعه ، ثم مضت في حياتها على هدى من هذا التراث ، تستقبل الجديد ، وتحيا فيه حياة سليمة ، وتشارك فيه مشاركة أصيلة » .

وكذلك فعل ناصر الدين الأسد : ففي الوقت الذي يحقق فيه تحقيقاً علمياً دقيقاً « ديوان قيس ابن الخطيم » ، و « ديوان شعر الحادرة » — يكتب عن « الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن » وعن « الشعر الحديث في فلسطين والأردن » ، وعن « تحليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين » ، وعن « محمد روجي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين » .

وفي الوقت الذي قد نترقب فيه أن تفكيره العلمي قد استغرقه بحثاه الرائعان اللذان عبر بهما خمسة عشر قرناً إلى مجاهل الشعر الجاهلي ، نراه يكتب عن « قصص الكيلاني للأطفال » ، وعن « فلسفة الاستعمار » ، وعن « الثورة العربية الكبرى والأدب » ، ويشترك في الترجمة عن الإنجليزية للكتاب العظيم الذي كتبه جورج أنطونيوس عن « يقظة العرب » ، ويراجع الترجمة العربية لكتاب « ليبيا الحديثة » .

وأعود فأكرر أن هذه الإشارات الخاطفة لا تنصف مؤلفها . فهذا الكتاب الذي ترجمه مع زميل فاضل ، كانت له ترجمة

سابقة لأستاذ فاضل آخر . وكان طبيعياً وقد قرأت الأصل الإنجليزى ، والترجمة الأولى ، وهذه الترجمة الجديدة ، أن تستوقفنى بعض الفقرات ، أختار منها هذه الفقرة التى تتصل بمشكلة اللغة العربية وصراعها مع اللغة الأجنبية فى سورية ، مرة مع التركية ، ومرة أخرى مع الفرنسية . يقول (ص ٤٩٧) :

« ومن أكبر أسباب ذلك الاستياء (الاستياء من الانتداب الفرنسى) تهديدهم لسيادة اللغة العربية . لقد كان من حسنات الثورة تصفية النزاع حول اللغة بين الأتراك والعرب . وحقق الدافع الثقافى الكامن وراء الثورة وجوده ، بعد النصر ، بتمليك اللغة العربية زمام الأمور ، أعنى « جعلها الواسطة الوحيدة للتعبير فى الحياة القومية ، وفى تحويل نظام التعليم تحويلاً كاملاً . (وعلياً أن نعلم أن العامل الثقافى كان أعمق الدوافع وأكثرها طاقة فى الثورة) — وكان رضى الشعب على أتمه عندما أصبحت اللغة العربية لغة المدارس والمحاكم بخاصة ، غير أن الانتداب الفرنسى — وهو ذو أغراض سياسية خاصة فى شئون اللغة والتعليم — أعاد مشكلة النزاع القديم جذعة ، فأصبحت مسألة اللغة فى المدارس والمحاكم صط نزع جديد مثلما كانت الحال فى أيام الحكم التركى . »

والدكتور ناصر الدين الأسد رائد فى البحث ، كما اتضح لنا ، ولذلك اتجه فى كثير من نشاطه العلمى إلى البحث عن الرواد . فمن ذلك بحثه فى « الاتجاهات الأدبية

الحديثة فى فلسطين والأردن » . وهو بحث رائد فى ميدان غير ذى معالم ، فوضع له المخطوط التى لا بد منها لتحديد الدراسة ، ومهد طريقاً علمياً لبحث الحركة الأدبية فى هذين القطرين العربيين . وقد استرعى إعجابى وأنا أقرأ هذا البحث أن مؤلفه بناه على الاطلاع على نحو ثلاثمائة كتاب أو صحيفة ، وعرف فيه بنحو مائة وأربعين كاتباً وشاعراً ،

وبعد ثلاث سنوات عاد الدكتور ناصر الدين الأسد لموضوعه ليفصل بعض ما أجمل فى كتابه السابق ، فكتب عن الشعر الحديث فى هذين القطرين ، وكان جهده هنا جهد رائد كذلك فى تتبع هذا الشعر فى الصحف والمجلات ، والمجموعات الخاصة ، وأفواه الأصدقاء .

ومن دراساته الرائدة عن الرواد ، كذلك ، كتاباه عن « خليل بيدس : رائد القصة العربية الحديثة فى فلسطين » وعن « محمد روى الخالدى : رائد البحث التاريخى الحديث فى فلسطين » . ويتمثل فى هذين الكتابين منهجه فى التنقيب عن الرواد وآثارهم فى القطر العربى السليب الذى خشى صديقنا ناصر الدين أن يندثر تاريخه الأدبى والثقافى فى غمرة المحنة التى أصابته ، فما ترك حجراً إلا قلبه للوصول إلى ما سجله ، فكان فى ذلك رائد المؤرخ للرواد .

سيدى الرئيس ،

إن هذا الأستاذ العالم قد قام بما قام به من التأليف فى الوقت الذى كان يتولى فيه

كثيراً من المناصب العلمية والثقافية . فهو
أستاذ جامعي مارس المحاضرة في عدد من
الجامعات العربية ، كما شغل مناصب قيادية
في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . وهو
الآن المدير المساعد للمنظمة العربية للتربية
والثقافة والعلوم .

وحسبي أن أذكر أنه مؤسس الجامعة
الأردنية ، وكان عميدا لكلية الآداب بها ،
كما كان رئيسا للجامعة نفسها .

إن الدكتور ناصر الدين الأسد يدخل
مجمعا الموقر تتقدمه إلى جانب ما ذكرت من

أعماله ، بحوث علمية ممتازة نشرتها له مجلة
المجمع .

فباسم المجمع أتشرف بتقديم هذا العالم
الثابت الجذور في أصول التراث ، الباسق
الأغصان في الأدب الحديث ، الجامع بين
عراقة القديم ، وروعة الحديث .

سيدى الرئيس ،

لقد سبق أن دعى الدكتور ناصر الدين
الأسد فلبى دعوة الجامعة العربية . واليوم
يدعى فيلبى دعوة العربية الجامعة .

كلمة الدكتور ناصر الدين الأسد . . .

سيدي الأستاذ الرئيس

الأساتذة العظام أعضاء المجمع

سيداتي وسادتي :

هذا موقف هابه كل من وقفه قبلي ،
وقد رجعت إلى كلمات أكثرهم في هذه
المناسبة ، فمنهم من صرح ووضح ، ومنهم
من لم يصرح ولم يوضح ، غير أنهم جميعا في الشعور
بالهيبة من هذا الموقف سواء .

وبعضهم أساتذة لي أجلاء ، جلست ومازلت
أجلس منهم مجلس التلميذ ، وبعضهم علماء
اعلام ضربوا بأوفر سهم في ميادين المعرفة
الإنسانية وبلغوا فيها شأوا بعيدا ، وبعضهم
ملكوا ناصية البلاغة والفصاحة في الكتابة
والخطابة ، ودانت لبيانهم الأقلام والمنابر ،
غير أنهم جميعا - مع ذلك - في الشعور بالهيبة
من هذا الموقف سواء .

ولكن ، مالي أكني بغيري ؟ هل أراني
ألتمس بذلك العذر لنفسى حين أجد كل
كلام أعده لهذا الموقف أقل من أن يبلغ مشارفه ،
وأدنى من أن يرتفع إلى ذراه ؟ أجل ، إن
الأمر لكذلك وما على فيه إن شاء الله من بأس .

فجميعكم أيها العلماء الأجلاء ، أتمنح صرح
تعلوا إليه الأعناق ، وأمنع معقل تتطاول إليه الهمم

وأعلى منارة ترنو إلى ضوئها الأبصار ، فلا
عجب أن يتنافس في الانضواء تحت لوائه
المتنافسون ويتسابق المتسابقون ، ثم لا يجوز بعد
ذلك حماه ، ولا يدخل ساحته إلا صفوة
الصفوة وخيرة الخيرة ممن توهم فيهم القدرة
على أن يكونوا حماة هذه اللغة وحراس تراثها ،
وسدنة ثقافتها ، وما إن يؤذن لأحد منهم بالدخول ،
وتفتح له الأبواب ، ويخطو خطوته الأولى ،
حتى تتملك الرهبة نفسه ، وتملأ الهيبة قلبه ،
ويحس بالخشوع وهو يسير في رحاب الخالدين .
ثم لا يخف عنه بعض هذا إلا حين تأخذون
بيده ، وتعهده بالرعاية ، ويألف المكان
والصحاب . وأعوذ بالله ، أيها العلماء الأجلاء
من أن أبالغ في القول وأشتط في الوصف ،
وأجلكم وأجل مجتمعكم عن أن أقول فيكم
وفيه ما لا يوافق الحق . ولولا خشيتي من
الظن أن ينالني من اثناء نصيب ، بعد أن
كرمتوني وأذنتم لي في دخول حماكم ، لقلت
ما كان ينبغي أن يقال في حقكم من أوصاف
التعظيم والإكبار . ولوجب على مجتمعكم ما قال
أبو الطيب :

فساق إلى العُرف غير مُكَدَّرٍ
وسُقَّتْ إليه الشُّكْر غير مُجْمَعِمٍ

هير أنى لا أجد لمثل هذا الظن بى مكاناً فى النفوس، فإذا كان من الصحيح أن بعض الذين يستحقون شرف العضوية بمجمعكم لم ينالوها لعلّة ليست فيهم، فإن من الصحيح أيضاً أنه ليس كل من اخترتموه، مستحقاً الاستحقاق كله لشرف العضوية حين الاختيار. وليس فى الحالتين ما يقدح فى المجمع ولا فى الأشخاص، ولا ما يخالف سنة الحياة وطبائع الأشياء، فالنفر الأول إنما حال بينهم وبين المجمع أن عدد الأعضاء محدود وأن المستحقين كثير فلا بد من أن يؤذن لفريق وأن ينتظر آخرون. وأما نفر الثانى، فإنما أدخلهم تشجيع العلماء لتلامذتهم، ورعايتهم إياهم، وحبهم عليهم ورغبتهم فى أن يتمرسوا بعملهم على أيديهم وفى ظلهم، عسى أن يكون منهم فى مقبل الأيام من يواصل الرسالة ويستمر فى حمل الأمانة. وما أحسبني إلا أحد هؤلاء التلاميذ الذين نالوا شرف التشجيع والرعاية والتعهد، وعلى أن أطيل الاستماع والتعلم، وأن أفرغ أقصى الجهد فى التلقى والاستفادة، وأن أسير على هدى هؤلاء العلماء الأعلام، ولا أملك إلا أن أعدكم بذلك وأعاهدكم عليه، وليس على الله ببعيد أن يحقق الأمل ويجعاني جديراً ببعض هذه الثقة الغالية.

من أجل هذا، أساتذتى العلماء، أكبرت الأستاذ الجليل الدكتور مهدي علام حين ندب نفسه ليستقبل أحد هؤلاء التلاميذ، ولم يخالجنى شك قط فى أنه قادر بحمد الله أن يغطى ضعفى، ومستطيع برعايته وجميل ثقته أن

يرتفع بتقصيرى، فأظهرنى بهذا المظهر الذى صورته لكم كريم خلقه، وجاء حديثه كعادته أبداً:

إذا ما صافح الأسماع يوماً
تبستمت الضمائر والقلوبُ

فله أصدق الشكر وأخلصه كفاء ما أقال من عثرى، وجبر من كسرى، وزيتن من أمرى.

ومن أجل هذا أيضاً. أشفقت على نفسى الإشفاق كله أن أخلف فى مجمعكم عضواً كان لاسمه من الدوى فى أقطار وطننا العربى وفى بعض الهيئات العلمية الأجنبية، ما يجعله أكبر من كلمة يقولها فيه مثلى. وهل فى بلادنا العربية: بين مثقفىها وعلمائها وأدبائها، من لم يسمع باسم قدرى حافظ طوقان، ومن لم يقرأ له بعض نتاجه العلمى؟ غير أن الموقف يقتضى الخلف أن يذكر السلف، ولو كان رحمه الله حياً يسمع ما أقول لتغمده بما عرف عنه من ساحة وسعة صدر، وتجاوز عن تقصير الناس، واغتفار لعجزهم وضعفهم:

أجمع من كتبوا عن آل طوقان بنابلس فى فلسطين - رد الله غربتها وطهرها من دنس احتلالها -. أنهم من عشيرة الطوقان السورية، وأنهم فرع من عشائر كانت تسمى الموالى. وربما كانت موالاتهم للدولة العثمانية سبباً لتسميتهم بهذا الاسم. وكانوا ينزلون سهل الغاب، فى سورية. وقد قيل فى أصول الموالى أقوال مختلفة لتشعب فروعهم وكثرة المنتسبين

إليهم وكان من أهم فروعهم عشيرتان :
[الطوقان وآل أبي ريشة .

وكان الطوقان من شيوخ الموالي ، ويرجع بعض الباحثين أنهم يرجعون في أصولهم إلى طييء من عرب اليمن ، وقيل في سبب تسميتهم أقوال مختلفة ، منها : أنهم كانوا يضعون في أعناقهم طوقين تميزا لهم من بقية الموالي ، ومنها : أن الطوقين كانوا رتبة من الدولة العثمانية تدل على منزلة معينة .

المعروف أن آل طوقان جاءوا بعد ذلك من الجولان - فرج الله كربها وكشف غمها - ونزلوا نابلس في نحو سنة ١٠٦٦ للهجرة . وبدأ نجمهم يتألق حين عين صالح (باشا) طوقان متصرفا على القدس ، ثم توالى حكم نابلس من آل طوقان حتى نهاية الحكم العثماني ، وكانوا يسمون بالبيكات لأنهم أبناء صالح (باشا) وحفدته بعد ذلك .

ومن أشهر رجالهم مصطفى (باشا) حفيد صالح (باشا) ، وكان شيخا على عشائر بني صعب ، ثم عين واليا على مصر ثم واليا على الحجاز ، وظل فيها إلى أن مات سنة ١١٩٧ للهجرة . وشارك بعض القادة العسكريين من آل طوقان مشاركة فعالة في قتال ظاهر العمر الذي اتفق مع علي بك الكبير وحليفته روسيا على إعلان العصيان والثورة على الدولة العثمانية ، في أواخر القرن الثاني عشر الهجري ثم شاركوا كذلك في قتال نابليون وهزيمته في بلاد الشام .

وكما كان من آل طوقان الحكام والقواد كان منهم التجار والساسة والوزراء والعلماء والأدباء والشعراء ، ومن منا لم يسمع بشاعر فلسطيني غير منازع المرحوم إبراهيم طوقان وبأخته الشاعرة فدوى طوقان ، وهما ابنا عم قدرى لها .

في ظلال هذه الدوحة ولد فقيدنا في مدينة نابلس في نحو سنة ١٩١٠ للميلاد ، وتلقى فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم تلقى دراسته العالية في الجامعة الأمريكية ببيروت ، ونال منها شهادة البكالوريوس في الرياضيات سنة ١٩٢٩ . وأصبح بعد تخرجه مدرسا في كلية النجاح الوطنية بنابلس ، ثم تولى إدارتها سنة ١٩٥٠ فعمل على تطويرها وأنشأ فيها معهدا للمعلمين . ومع كثرة أعبائه وتعدد أعماله بعد ذلك ، ظل متمسكا بإدارته لكلية النجاح حتى انتقل إلى جوار ربه في بيروت في ٢٦ من فبراير سنة ١٩٧١ .

انتخب نائبا عن مدينة نابلس في المجلس النيابي الأردني سنة ١٩٥٠ ، وتسلم منصب وزير الخارجية الأردنية سنة ١٩٦٤ فعمل على تحسين العلاقات بين الأردن ومصر والاعتراف باليمن الجمهوري .

ذاع ذكره في مجال البحث العلمي وخاصة في تاريخ العلوم عند العرب ، وزادت تآليفه على عشرين كتابا ، وكتب كثيرا من المقالات في العلم والسياسة والأدب والأخلاق نشرتها

له المجالات في مختلف أقطار الوطن العربي ،
وأذاع عشرات الأحاديث من إذاعات البلاد
العربية وبعض الإذاعات الأوروبية ، وألقى كثيرا
من المحاضرات العلمية والتوجيهية في عدد من
البلاد العربية والإسلامية وانتخب عضوا في نحو
عشرة مجامع ومجالس وجمعيات علمية عربية
وأجنبية ، وشارك في عدد كبير من المؤتمرات العلمية
والثقافية . ومنحته جامعة البندج شهادة
الدكتوراه الفخرية في القوانين تقديرا لجهوده
المتواصلة في الفكر الإنساني والتراث
الحضاري والعلمي .

أيها العلماء الأجلاء
سيداتي وسادتي :

هذه نظرة عابرة على حياة عريضة عميقة
لرجل نذر نفسه للدراسة والبحث ، وعاش
لهما ، واستغنى بهما عن الزوجة والبنين ،
وعرفه أبناء أمته مما كان ينشر في الصحف
والمجلات وخاصة المقتطف والرسالة والثقافة ،
ثم من مؤلفاته وبحوثه التي أصبحت ركنا
أساسيا في ثقافة الجيل .

وإذا كان مثل هذا المقام لا يحتمل الإطالة ،
ولا يتيح الفرصة للإحاطة بشخصية فقيدها
وتحليل نتاجه العلمي ، فإن من الإنصاف أن
نقف وقفة فيها بعض التأمل لخصائص ثلاث ،
أحسب أنها المحاور الأساسية التي كان يدور
عليها جهده ونشاطه في مجال البحث والدراسة .

فأولاها - عنايته المتصلة بالتعريف بتراث
العرب العلمي في شتى ميادينه ، وخاصة في

الرياضيات والفلك ، ودعوته الدائمة إلى وصل
حاضرنا في العلم بماضيينا الزاهر فيه ، لإقامة
هذا الحاضر على أسس متينة من شخصية الأمة
ومقوماتها ، مع تنبيهه الدائم إلى عدم الاقتصار
على ذلك وضرورة الأخذ بالعلم الحديث وتبني
تطوره والاستفادة من أساليبه ومناهجه ونتائجه .

كان هدفه من عنايته ببعث تراثنا العلمي
ودعوته إلى إحيائه ومعرفته هدفا واضحا
محددا نص عليه بعبارات كثيرة في مناسبات
شتى ، منها قوله :

« لقد أدرك الغرب وبعض أمم الشرق أن
بعث الثقافة من أهم العوامل التي تتركز عليها
النهضات والحركات ، وأن الأمة التي تبغى مجدا
عليها أن تخلق في الأفراد روح الإيمان بقدرتهم
على الابتداع ، وأن تنشئ فيهم الشعور بالعزة
القومية ، وذلك بالاهتمام بماضيها ، وربطه
بحاضرها ، وتعريف الناشئة بجهود أسلافهم
ومآثرهم في ميادين العلوم ، وما كان لها من أثر في
تقدم الحضارة » .

ومنها قوله أيضا :

« إن الأمة العربية من الأمم التي خلفت
آثارا جليدة في ميادين المعرفة عادت على
الحضارة بالتقدم والارتقاء . وقد لا يكون
هناك أمة لها ما للأمة العربية من تراث خالد
وأثر بليغ في سير العلوم ، فلولا نتاج القرية
العربية لتأخر سير المدنية بضعة قرون . ومما
يؤسف له حقا أننا أهملنا تراثنا ولم نلتفت
إليه ، وأنه بإهمالنا هذا وعدم التفاتنا إلى مآثر
أسلافنا أصبح لدى الكثيرين منا اعتقاد

بعدم قابليتنا ، وأنه لم يكن لأجدادنا أى جهد فكري عالمي ، وأنه لم ينشأ بين العرب من استطاع أن يبلغ في ميدان العلم مبالغ علماء أوروبا وعباقرتها . ومن أغرب ما نشاهده اليوم أن نجد كثيرين ينكرون على العرب مآثرهم في مختلف العلوم والفنون ، وقد يزيد استغراب القارىء الكريم إذا علم أن هذا الإنكار سائد ومسيطر على المثقفين وأصحاب الشهادات والألقاب العلمية . وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، حد الإنكار ، بل يتعداه إلى الاستخفاف بكل ما هو شرقي عامة وعربي خاصة ، وإلى التنقص من جهد السلف وفضلهم على المدنية ، في حين أننا نجد في الغرب من قام يدافع عن الحقيقة لأنها حقيقة ، ومن قام يظهر الحق لأنه حق ، وقد دفعهم الإخلاص للحقيقة أن ينصفوا الحضارة العربية بعض الإنصاف ، فاعترف غير واحد بما للمدنية العربية من فضل على مدنية أوروبا التي ينعمون بها . وقد ثبت لهم أنه كلما تقدم العلماء في البحث عن نتائج قرائح العرب تجلّى لهم فضل العرب على العلم والعمران بصورة أوضح ، وظهر لهم أن العرب سبّوا الغرب في وضع النظريات الرياضية والفلكية والفلسفية ... إننا أولى من غيرنا بمعرفة عباقرتنا ونوابغنا . إنه لو اوجب مقدسنا علينا أن نهتم بتراثنا وبما أورثه أسلافنا إلى الأجيال .

ومنها قوله أيضا :

« إن الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ليس فيها شذوذ أو خروج على منطق التاريخ ، فلم

يكن بد من قيامها حين قامت . وقد قام أصحابها العرب بدورهم الكبير في تقدم الفكر وتطوره بأقصى الحماسة والفهم ، وهم لم يكونوا مجرد ناقلين كما قال بعض المؤرخين ، بل إن في نقلهم روحا وحياة ، وكذلك لم يكن ميكانيكيا ، فهو أبعد ما يكون عن الحمود .

وقد خطوا في العلوم خطوات فاصلات كان لها أبعد الأثر في تقدمها ؛ فبعد أن اطلع العرب على ما أنتجته قرائح القدماء في سائر ميادين المعرفة تنقّحوه وشرحوه وأضافوا إليه إضافات هامة أساسية تدل على الفهم الصحيح وقوة الابتكار .

بمثل هذه العبارات الواضحة حدّد عالمنا هدفه وأبرر قيمة موضوعه . ومن أجل هذا كان من أوائل ما نشر من مقالات مقالة عنوانها « حول التراث العربي » وأخرى عنوانها « حاجتنا إلى ما يحيي الخصائص العربية » وثالثة عنوانها « حول محاضرات ابن الهيثم التذكارية » ورابعة عنوانها « الملاحاة عند العرب » وخامسة عن « ابن ماجه : أسد البحر الهائج » ، وغيرها كثير .

ومن أجل هذا أيضا كان من أوائل ما صدر له من بحوث مطولة بحثه الذي أعده سنة ١٩٣٦ ، وعنوانه « الأثر العلمي للحضارة الإسلامية وأعظم علمائها » نشر في كتاب « نواح مجيدة من الثقافة العربية » ، وهو هدية المقتطف السنوية ، وفيه بحوث لثلاثة علماء آخرين .

ثم صدر في سنة ١٩٤١ كتابه الذائع الصيت « تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك » طبع ثلاث طبعات كانت الثالثة سنة ١٩٦٣ . وأصبح هذا الكتاب عمدة المثقفين والدارسين في موضوعه ، وأثنى عليه كثير من العلماء العرب كالمرحوم الدكتور علي مشرفة والأجانب كالدكتور سارتون ، وقرظته المجلات العلمية والأدبية .

وتوالى بعد ذلك كسبه وبحوثه في هذا الباب : فصدر له في سنة ١٩٤٦ « الأسلوب العلمي عند العرب » ، وفي سنة ١٩٥٤ « الخالدون العرب » ، وفي سنة ١٩٥٦ « العلوم عند العرب » ، وفي سنة ١٩٥٨ « ابن حمزة والتمهيد إلى اللوغارتمات » ، وفي سنة ١٩٦٠ « مقام العقل عند العرب » وفي سنة ١٩٦١ « أثر العرب في تقدم علم الفلك » ، وفي السنة نفسها « العلوم عند العرب والمسلمين » ، وفي سنة ١٩٦٢ « الروح العلمية عند العرب والمسلمين » ، وفي سنة ١٩٦٦ « حيوية العقل العربي في نقد الفكر اليوناني » ، وفي السنة نفسها « أبو الريحان البيروني » .

ونشرت هذه الكتب والبحوث في القدس وعمان والقاهرة وبيروت ، وبعضها طبع عدة مرات .

أما ثمانية خصائصه : فتتمثل في السعي إلى تبسيط المعرفة العلمية وتقريبها إلى عقول الناشئة وجمهرة المتعلمين والمثقفين ، وكان هذا دأبه في كثير مما كان ينشر من مقالات

في المجلات والصحف السيارة التي كان يقرأها جمهور متفاوت الثقافة ، مختلف المشارب ، متعدد التخصص .

ومما ذكره في هذا المجال في مقالة نشرها في المقتطف سنة ١٩٣٤ عنوانها « غرائب الأعداد وعجائب المعادلات » قوله :

« ومن البديهي أنني في هذا المقال لا أستطيع أن آتي على جميع غرائب الأعداد وعجائب المعادلات ، فغرائب الأعداد لا تدخل تحت حصر عدا كون بعضها يحتاج إلى استعمال مما قد يدخل السأم والملل إلى النفوس .

وأما عجائب المعادلات فسأتى على ذكرها تنويعاً ، إذ تحتاج إلى استعمال الصعب من القوانين الرياضية والمعادلات العويصة ، وهذا مامس نحاول تجنبه في مقالنا هذا ، ولكننا سنأتى على بعض أمثلة بسيطة من غرائب الأعداد وعجائب المعادلات من التي لا تحتاج إلا إلى إلمام بسيط بقواعد الحساب ومبادئ الجبر » .

ومما قاله في هذا أيضاً :

« لا يستطيع أحد من الذين يُعْنَوْنَ بالعلوم الطبيعية والفلكية تبسيط بحوثها إلا إذا كان مالكا لخاصيتها ، ضليعا في اللغة ، واقفا على أسرارها . فليس من السهل تقديم الموضوعات العويصة في قالب نحال من التعقيد والغموض ، كما أنه ليس من السهل أيضا وضع النظريات والقوانين الكونية وما يتصل بها من ظواهر وحركات في أسلوب يستسيغه أصحاب الثقافة

العامة وجمهور المتعلمين . . . ولهذا فقليلون هم الذين يوفقون في عرض بحوث العلم الدقيقة والعويصة ، كالفلك والرياضيات والطبيعات ، في لغة سلسلة سهلة المأخذ ، بعيدة عن الغموض والإبهام .

وفي هذا الباب صدرت له ثلاثة كتب في سلسلة « اقرأ » بدار المعارف بمصر . الأول سنة ١٩٤٣ وعنوانه « الكون العجيب » ، والثاني سنة ١٩٤٩ وعنوانه « العيون في العلم » والثالث سنة ١٩٥٥ وعنوانه « البقاء والفناء » في الطاقة الذرية . ونالت هذه الكتب رواجاً لدى القراء فطبعت مرات كثيرة .

وأما ثلاثة خصائصه فقد كانت حرصه على إشاعة المعرفة العلمية وجعلها جزءاً من ثقافة المرء العامة ومن تكوينه العقلي والخلقي وأسلوبه في التفكير .

فكان يؤكد في كل مناسبة ربط العلم بالعمل في جميع ميادين الحياة ، ويكشف عن الأصالة الوثيقة بين العلم والخلق ، وأن المرء كلما زادت معرفته العلمية زاد معرفة بكثرة ما يجهل ، وذلك يكسبه تواضعاً وسمو خلق ، وأن العلم يقود لا محالة إلى الإيمان . وكان يحرص على أن ينفي عن العرب والمسلمين التشبث بالخرافات ، ويبرز جوانب عقليتهم العلمية التي تعلل الظواهر الكونية ، وتردها إلى قواعد وقوانين في نظام علوي وناموس إلهي تتجلى فيهما قدرة الله وحكمته في أفعاله وأعماله .

وربما كان أشهر ما صدر له في هذا الباب كتابه « بين العلم والأدب » سنة ١٩٤٦ ، وقد

جمع فيه بعض مقالاته التي نشرها في المجلات والصحف وبعض محاضراته العامة ، وفيها بسط لآرائه في ضرورة التزود بالمعرفة العلمية لتكتمل للمرء ثقافته .

وبعد . .

فما أحسبني - مع هذا التطواف كله - قد وفيت فقيدينا بعض حقه ، وقد بقيت في النفس أشياء كنت أتمنى أن أتحدث عنها ، وخاصة ما يتصل منها بمواقفه وكتاباته القومية التوجيهية ، وقد صدر له كتابان : الأول سنة ١٩٥٠ وعنوانه : « بعد النكبة » والثاني سنة ١٩٥٣ وعنوانه : « وعى المستقبل » ، وهما كتابان لا يغني عرض مجملهما عن قراءتهما .

أيها العلماء الأجلاء .

سيداتي وسادتي :

كنت من الذين سعدوا بمعرفة عالمنا الراحل حقبة زادت على العشرين عاماً ، والتقيت به مراراً في نابلس في منزله وفي كلية النجاح الوطنية ، ثم كنت ألتقي به كل أسبوع حين شرفت سنة ١٩٦٢ بتأسيس الجامعة الأردنية في عمان ثم توليت رئاستها ست سنوات ، وكان رحمه الله عضواً في مجلس أمنائها ، وكان حديثنا لا يسكاد ينقطع عن المصطلحات العلمية ، واستعمال العربية لغة للتدريس في السكليات العلمية ولغة للبحث العلمي . وكانت صلاتي بموضوع المصطلحات بدأت منذ سنة ١٩٥٥ حين عقد المؤتمر العلمي العربي الثاني في القاهرة بدعوة من الإدارة

الثقافية بجامعة الدول العربية ، وكنت حينئذ عضوا في وفدنا إلى المؤتمر ، وبدأت من هذا المؤتمر عناية الإدارة الثقافية بتوحيد المصطلحات العلمية في مراحل التعليم العام حتى نهاية الدراسة الثانوية : في الرياضيات ، والطبيعة ، والكيمياء والنبات ، والحيوان والجيولوجيا . فأعدت نماذج من الكراسات اشتملت كل صفحة من صفحاتها على عدة أعمدة ، تضمن العمود الأول مصطلحات علم من هذه العلوم باللغة الإنجليزية ، وعلى رأس كل عمود من الأعمدة الباقية اسم إحدى الدول العربية لتضع في العمود المخصص لها اللفظة العربية التي تستعملها في كتبها لمدرسية مقابل المصطلح الأجنبي . وبذلت الإدارة الثقافية جهودا متصلة لجمع إجابات الدول العربية وتنسيقها ، واستغرق ذلك سنوات إلى أن ضم المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط إلى جامعة الدول العربية ، وقامت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وأصبح المكتب من أجهزتها ، فأحيل الموضوع عليه ، فسعى إلى استكمالها من إجابات الدول العربية ومن جهود خبراءه في استخراج النقص من المكتب المدرسية نفسها بعد أن جمع المكتب هذه الكتب من البلاد العربية ، وأثبت المصطلحات باللغتين الإنجليزية والفرنسية . وسيعرضها على المؤتمر الثاني للتعريب الذي سيجتمع في الجزائر في الشهر الأخير من هذا العام . هذه قصة واحدة من قصص كثيرة عن محاولات تنسيق المصطلحات وتوحيدها ، استهلك هذا الجهد الكبير

واستغرقت هذا الوقت الطويل . أما وضع المصطلحات : تعريبا أو ترجمة أو إحياء لكلمة قديمة ، فله قصص كثيرة عند العلماء والاتحادات العلمية والمجامع ، وحسبنا أن نقتصر على مجمعا هذا وحده ونذكر الزمن الطويل الذي قضاه ، والجهد المضني الذي بذله في تقديم ثروة من المصطلحات في مختلف فروع العلم والمعرفة وجوانب الحياة ، مما أسماه « المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة » بلغت عشرات الألوف من المصطلحات والألفاظ ، مع الشروح المعروفة بمعانيها ، المقربة للدلالات ، نشرها في مجلدات كبيرة تضم كل مجلد مجموعة من هذه المصطلحات العملية والفنية حشدت لها جهود خبراء المجمع ولجانه ، وعقد لها مجلسه ومؤتمره جلسات طوالا استغرقت سنوات متواصلة .

وأستاذنا الأستاذ الجليل الدكتور إبراهيم مذكور الأمين العام للمجمع في أن أستاذنا يبعث ما كتب في مقدماته لهذه المجموعات ، قال :

« ولغة العلم وليدة المصنع والمعمل ، وثمره من ثمار قاعة الدرس والبحث . وقد تختلف من باحث إلى باحث ، ومن بلد إلى آخر . ويحرص المجمع الحرص كله على أن يلاقى بين هذه الأطراف ويوحد الكلمة ، ويجمع الباحثين والدارسين على لغة علمية عربية سواء . ولا يزعم مطلقا أنه بلغ في ذلك الغاية ، فخبرائه قد يتعددون في الموضوع

الواحد ويختلفون ، وأعضاؤه قد يُغلبون استعمال قطر عربي على آخر . ولبعض المصطلحات التي أقرها لفظان مختلفان أو أكثر، ولا يزال الأمر يتطلب مزيداً من الصقل والتقويم. وبقيننا أن متابعة نشر مجموعة المصطلحات العلمية والفنية كل عام من أنجع الوسائل لتدارك بعض هذا النقص .

وقال في مقدمة مجموعة أخرى :

« والجمع يؤمن إيماناً جازماً بأن قيمة المصطلح في نشره واستعماله ، وينادي دائماً بتوحيد المصطلحات العلمية بين العامة والخاصة في العالم العربي بأسره ، ويأمل في أن يعين نشر مجموعة منها كل عام على ذلك » .

ويقول في مقدمة ثالثة :

« وليست اللغات مما يفرض فرضاً . . . وإنما هي استعمال سري واستقر ، وعرف هذب ونقح على مر الزمن ، وحياة المصطلح العلمي في تداوله ، وتوحيده في أن يتفق عليه المشتغلون به » .

وكما استأذنته في الاستشهاد بكلامه والاقتباس منه ، استأذنه في أن أفهم كلامه — وإن جاء ظاهره في صيغة خبرية تقريرية — إنه في حقيقته إنشائي دعائي ، أكاد أسمع من خلال ألفاظه صيحته المذوية مهيباً بعلمائنا وجامعاتنا ومعاهدنا أن ينشروا هذه المصطلحات فيما بينهم وفيما بين تلامذتهم، وأن يستعملوها في بحوثهم العلمية وكتبهم ، وقبل

ذلك ومعه وبعده، في تدريسهم باللغة العربية؛ ذلك أن اللغات كما قال : « استعمال سري واستقر ، وعرف هذب ونقح على مر الزمن . وحياة المصطلح العلمي في تداوله ، وتوحيده في أن يتفق عليه المشتغلون به » . فأين هم أساتذتنا في جامعاتنا ومعاهدنا الذين يستعملون هذه المصطلحات لتسري وتستقر ، ويتداولونها لتحيًا ، ويشغلون بها لتتوحد ؟ إن الجمع قد أدى الأمانة ونهض بالرسالة ، وهو في طريقه إلى استكمالها ، وبقي أن يقوم من يعمل الجمع من أجلهم بواجبهم .

وعلى ما للمصطلح من قيمة وخطر ، وعلى جلال عمل الجمع وجهده فيه ، فإن هذا ينقلنا إلى القضية الكلية ، إلى القضية الأم إلى قضية اللغة العربية من حيث هي . ماذا فعلنا بأنفسنا وبلغتنا ؟ بدأنا بأن جعلنا لغتنا مادة ، مجرد مادة دراسية ، لها دقائق معدودات في جدول الساعات الأسبوعي في المدرسة ، وعزلناها عن بقية المواد ، وأصبح التلميذ لا يسمع لغته إلا في هذه الدقائق ، كما يسمع اللغة الأجنبية المقررة ، أما في بقية المواد فتغيب عن أذنيه ونفسه هذه اللغة ، بل قد يسمع من بعض مدرسي هذه المواد الاستهانة باللغة العربية والحكم عليها بالعجز عن الوفاء بمعاني تلك المواد . ومع تراخي الزمن وانهازم النفوس ، أصبحت هذه اللغة ، في أثناء الدقائق المخصصة لها ، تُدرّس بالعامية ؛ يستعملها مدرس اللغة العربية في درسه وشرحه وحديثه في حجرة الدراسة ، وما أشبه ذلك ؛

بما كان يحدث في أواخر العهد التركي في بعض بلادنا العربية من تدريس اللغة العربية باللغة التركية . واستطال الأمر وتفاقم حتى أصبحت العامية هي لغة التدريس والمحاضرة في أقسام اللغة العربية نفسها في الحرم الجامعي ولم تعد آ ان ناشتتنا تسمع أنغام الفصحى ، حيل بينهم وبينها ، في المدرسة وفي الجامعة وفي المسرح والسينما والإذاعتين المسموعة والمرئية . كما حيل دون أن تكون هذه اللغة لغة العلم النظري والتطبيقي ولغة البحث العلمي .

فإذا كانت اللغة هي أداة التفكير كما أنها أداة التعبير ، فإن من الطبيعي أن يكون تفكير المرء في مستوى لغته ، أفكيرنا استعمالنا العامية وغلبتها علينا السبب فيما يتصف به أكثر تفكيرنا الآن من عامية وسطحية وتخلف ؟ إننا لا نعرف أمة فعلت بنفسها وبلغتها ما فعلنا . إننا أمة لا نتكلم لغتها ، وكل أمة سوانا تتكلم لغتها ، على تفاوت بين أبنائها في قدرتهم على البيان بها بحكم تفاوت حفظهم من التعليم والثقافة . فالإنجليز يتكلم الإنجليزية ، والفرنسي يتكلم الفرنسية ، والألماني يتكلم الألمانية ، وكل فرد في كل أمة يُنشأ من الطفولة المبكرة على سماع لغته والتحدث بها في كل مادة من مواد الدراسة في مراحل تعلمه جميعها ، وفي المسرح والسينما والإذاعة وغيرها . ومع ذلك فنحن نزع - ونحن على حق - أننا أمة واحدة ، وأن أهم مقوم من مقومات الأمة الواحدة هو اللغة ، ثم نحطم هذا المقوم تحطيا بأيدينا .

معذرة ، أيها العلماء الأجلاء ، فإنني لم أقل سوى بعض مما تعرفون ، ومن أين لمثل أن يأتي بجديد عليكم ! ، ولكنها نفثة مصدر لم يُطلق كتمانها بعد أن طال وجعه منها ، فلم يجد من يبثه شكواه أجل منكم وأعون على البلوى . ولن نياس ، فعملكم الدائب ، وذودكم عن لنتنا ومنافحتكم دون حماها ، كل ذلك كفيل إن شاء الله ببلوغ الغاية .

أساتذتي العلماء ، أعضاء مجمع الخالدين : سأظل ما حييت أذكر لكم صنيعكم ، وأشكر لكم فضلكم ، حتى إنني : لقد خيفت أن لا تقنع النفس بعدها بشيء من الدنيا وإن كان مقنعا

ورحم الله أبا العلاء ، فكأنه كان ينظر إلى ما في نفسي لكم بعين بصيرته حين قال :
فإنَّ مُنْأَى أَنْ يُشْرَى حَصَاكُمْ
وتَقْصُرُ عَنْ زُهَائِكُمُ الرِّمَالُ
وَأَنْ تُعْطُوا خُلُودًا فِي سَعُودِ
كما خَلَدَتْ عَلَى الْأَرْضِ الْجِبَالُ

وأضرع إلى الله العلي القدير أن يكتب الشفاء لشيخنا الحليل رئيس مجمعنا الأستاذ الدكتور طه حسين ، وأن يسبغ عليه ثياب الصحة ، ويرزقه طول العمر ، ليواصل رعايته للعلماء والأدباء ، وأهل الفكر .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٤ من ربيع الآخر سنة
١٣٩٣ هـ (الموافق ٧ من مايو سنة ١٩٧٣ م) أقام المجمع حفل استقبال
أعضائه الجدد : الدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور حامد عبد الفتاح
جوهري ، والدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش . وفيما يلي ما ألقى
في الحفل :

كلمة الافتتاح للأستاذ زكي المهندس نائب رئيس المجمع :

بسم الله الرحمن الرحيم

وهناك زميل جديد رابع عزيز علينا جميعا
هو الأستاذ الجليل مصطفى مرعي ، قد رأى
لأسباب طارئة أن يؤجل استقباله إلى الدورة
القادمة والمجمع ، إذ يسعده أن يهنئ زملائنا
الجدد بما نالوه من ثقة وتقدير ، ليسعده كذلك
أن يرى كفايات عظيمة تضاف اليوم إلى كفايته ،
وأن يرى نشاطا علميا جديدا سيلتقي بنشاطه .
وإننا لعل ثقة أن زملائنا الجدد سيسهمون
بعلمهم وكفائتهم في تحقيق رسالة المجمع وإنهم
لفاعلون إن شاء الله .

زملائي :
سيداتي :
سادتي :

لقد كان السيد رئيس المجمع الدكتور طه
حسين يؤد أن يشاركنا في هذا الحفل ، ولكن
حالته الصحية قد اضطرته إلى الاعتكاف
والاعتذار .

مرحبا بكم أيها الفرسان الثلاثة في المجمع
الخالد .

أما الآن . . أيها السادة فسيتولى الزملاء :
الدكتور إبراهيم أنيس ، والدكتور عبد الحليم
منتصر ، والأستاذ إبراهيم اللبان استقبال زملائنا
الجدد . سيأتي كل منهم كلمته بعد العضو الذي
يستقبله .

وليتفضل الدكتور إبراهيم أنيس .

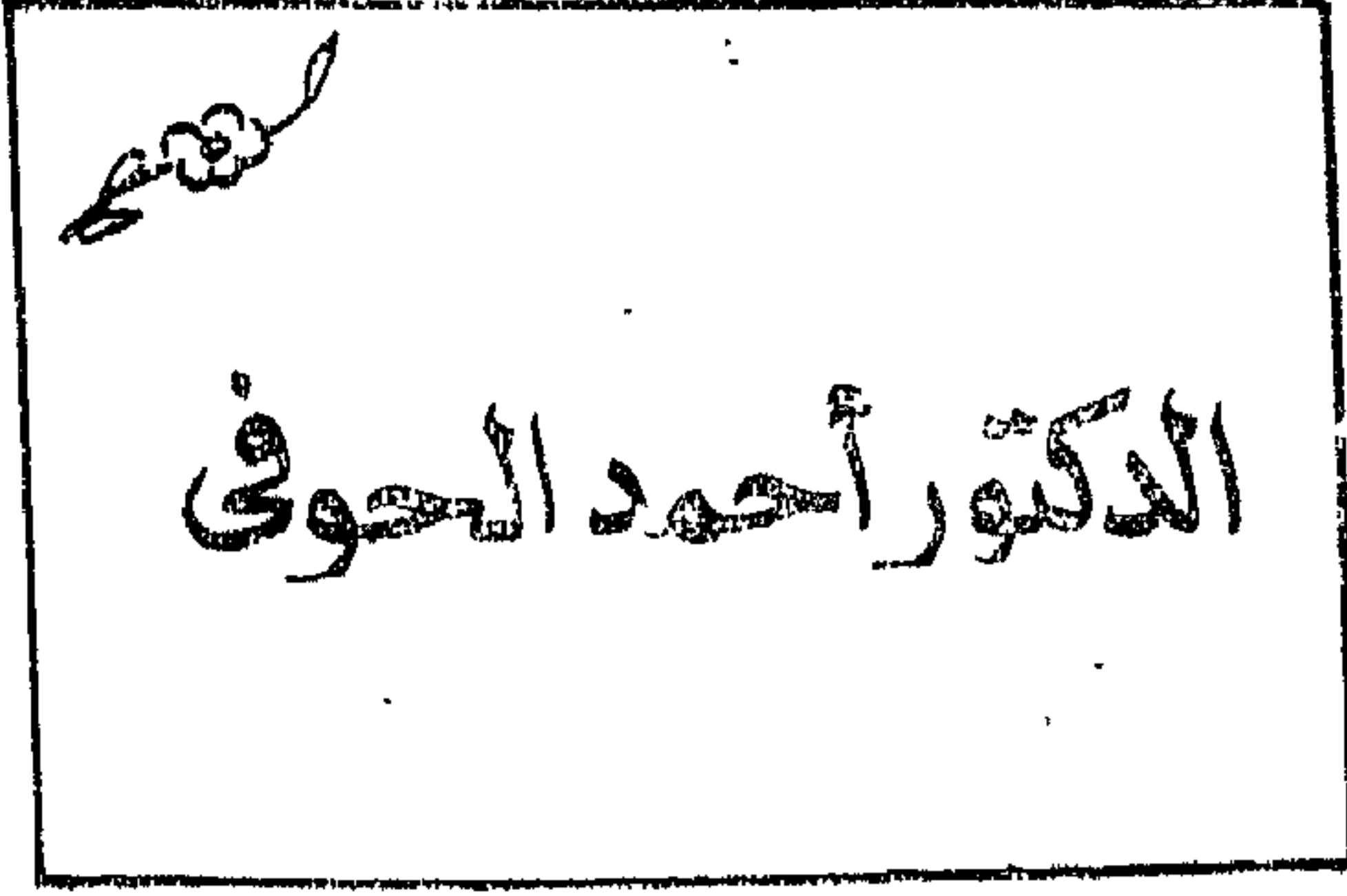
فباسم المجمع بل باسمكم جميعا أبعث بتحياتكم
مع أمانينا له بالشفاء العاجل ، وإنه ليسر المجمع
أن يجتمع اليوم لاستقبال ثلاثة من أعضائه
الجدد وهم :

الدكتور أحمد محمد الحوفي .

الدكتور حامد عبد الفتاح جوهري .

الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش .

كلمة الدكتور ابراهيم أنيس في استقبال :



بسم الله الرحمن الرحيم

التي كانت تعيد لي الثقة بمحتمية القدر ، والإيمان
بأن كل أمر مرهون بلحظة محددة .

واليوم أيها السادة أشعر بالسعادة غامرة لفوز
صديقي الدكتور الحوفي ، وأني انتدبت لاستقباله
وانترحيب به .

وفي حديثي عن الدكتور الحوفي أودّ لضيق
المقام أن أمرّ مروراً سريعاً بتلك الناحية من
حياته التي أشبهها بالسجل المدني أو البطاقة
الشخصية فأقول :

ولد في قرية بالقرب من دمنهور سنة ١٩١٠
وبدأ تعلمه في القرية وفي دمنهور ، ثم انتقل
إلى القاهرة ليلتحق بتجهيزية دار العلوم
ويستكمل فيها المرحلة الثانوية من تعلمه ، ثم
التحق بدار العلوم العليا كما كانت تسمى آنذاك
، وتخرج فيها سنة ١٩٣٦ وكان أول دفعته .
ولعله كان يتطلع إلى بعثة في الخارج ، ولكن
الظروف حينئذ لم تهيأ لذلك . فقتنع صاحبنا
بالتدريس في المدارس الابتدائية والثانوية بنين

السيد الرئيس ، السادة الزملاء أعضاء المجمع ،
سيداتى ، وسادتى :

كان من حظي ، بل مما أسعدنى حقاً أن
أشترك في ترشيح صديقي الدكتور أحمد الحوفي
لعضوية المجمع . ولبثت أواظب على الاشتراك
في هذا الترشيح ، وأنا سعيد بذلك ،
إلى أن أتمّ مجلسنا الموقر اختياره ،
لصبر العضو الجديد وجلده !! ذلك لأن للمجمع
تقليداً لا يكاد يحيد عنه إلا في حالات نادرة
لها ظروفها ، هو أن يدع القاصد إلى محرابه
واقفاً ببابه ينتظر فترة قد تطول سنوات ،
حتى يبرهن لنا أنه يتحلى بصبر أيوب ، وإذا
بالأبواب الموصدة تفتح ، وإذا بالمرشح يصبح
عضواً بين الخالدين !!

وحينما تخلف صديقي الدكتور الحوفي
لا عن جدارة واستحقاق سعت إليه على
استحياء لأقص عليه ما كان . وأشهد أنى
لم أصادف منه إلا ابتسامة السباحة والرضا ،

وبنات ، وكان يعلم بإخلاص إلى أن كان في المدرسة السعيدية حين ضمت دار العلوم إلى جامعة القاهرة ، ورأى مجلس الكلية أن يختار بعض النابهين من المتخرجين في الدار ليكونوا معيدين أو مدرسين مساعدين ، وجاء الحرفي إلى دار العلوم بالجامعة مدرسا مساعدا سنة ١٩٤٨ ، وهنا كانت فرصته ، أو كأنما وجد نفسه ، فحصل على الماجستير سنة ١٩٥٠ بتقدير ممتاز ، والدكتوراه سنة ١٩٥٢ ، بتقدير ممتاز . ثم تدرج في وظائف هيئة التدريس إلى أن أصبح رئيسا لقسم الدراسات الأدبية ، ولما بلغ الستين عين أستاذا متفرغا :

وعكف الدكتور الحوفي خلال حياته الجامعية على التأليف ، فأنتج كتباً كثيرة في الأدب العربي قديمه وحديثه :

فاستوحى من الأدب الجاهلي أربعة كتب هي الغزل في العصر الجاهلي ، والمرأة في الشعر الجاهلي ، وأغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، والحياة العربية من الشعر الجاهلي . وألف كذلك كتابا عن أدب السياسة في العصر الأموي :

كما ألف كتباً خمسة عن بعض القدماء من أئمة العلم والأدب كالحافظ ، والطبري ، وأبي حيان التوحيدي ، والزمخشري ، وابن الأثير ، وكتباً أربعة عن الإسلام هي : من أخلاق النبي ، وسماحة الإسلام ، وتحت راية الإسلام ، ومع القرآن الكريم .

وأخيراً ألف كتباً ثلاثة عن أمير الشعراء شوقي هي : وطنية شوقي ، والإسلام في شعر

شوقي والنسيب في شعر شوقي . . . إلى غير ذلك من مؤلفات أخرى ، وكلها مطبوعة منشورة متداولة في صورة كتب أحصيت في المذكرة التي قدمت لنا فبلغت خمسة وعشرين كتاباً ، قرأتها كلها والحمد لله !! فقد كان يقررها على حين يهديها إلى ، وكنا نستأنس بها في ندوات علمية أو ندوات علمية حرصنا في السنين الأخيرة على أن نعقدتها معاً بانتظام ، يعلمني فيها ما لم أكن أعلم ويتعلم مني ما لم يكن يعلم ، فلا تكاد تنتهي الندوة أو الخلوة حتى نكون قد اهتمدنا إلى رأى سديد ، أو فكرة جديدة في مسألة علمية .

هذا إلى بحوثه ومقالاته الكثيرة التي نشرت في المجلات العلمية والأدبية بالعالم العربي ، وإلى إشرافه على عدد موفور من الرسائل العلمية الجامعية .

والدكتور الحوفي أوجه أخرى من النشاط ، لا يمانع في الإعلان عن بعضها ، ولكنه يصبر على إخفاء البعض الآخر . نأما الذي لا يرى مانعاً من الإعلان عنه فمثل اشتراكه في مؤتمرات إسلاميين بمكة وطرابلس ، وفي ثلاثة مؤتمرات أدبية اثنين منها ببغداد ، وواحد في غزة ومثل أنه رئيس لجنة التعريف بالإسلام ، وعضو لجنة الخبراء بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وأما الذي يحرص على إخفائه لأنه لم يقيم به إلا ابتغاء وجه الله ، فمنه أنه يرأس جمعية صغيرة للتوعية الدينية والروحانية بين أهالي الحي الذي يسكن فيه .

ويكفي أن تعلم أن من الآثار المحيطة لهذه الجمعية أنها بنت مسجدا جميلا في ذلك الحى .

إلى هنا أيها السادة وأنتهى مما يشبه السجل المدنى أو البطاقة الشخصية للدكتور الحوفى ، لأقفز إلى ما أوثره من حديث آخر عنه أستوحيه من دراستى للغة فى شتى نواحيها ، وأتخذ لهذا الحديث عناوين ثلاثة :

(١) باب تأصيل الكلمات والدكتور الحوفى .

(٢) باب دلالة الألفاظ والدكتور الحوفى .

(٣) باب الأصوات اللغوية والدكتور الحوفى .

أما باب تأصيل الكلمات والدكتور الحوفى فمع أنى استطعت فى بعض بحوثى تأصيل كثير من الكلمات العويصة ، لعل أشهرها فى ذلك البحث الذى ألقيته فى أحد مؤتمرات الجمع تحت عنوان (تأصيل كلمة السماء) ، ومع هذا أعترف أمامكم أنى عبجت عن تأصيل كلمة « الحوفى » !!

وقد سألت فى ذلك فقال إن « الحوفى » أصلها « الحوفى » نسبة إلى الحوف ، وهو كما تقول المعاجم القديمة حرف الوادى وجانبه !

ثم ذهب صديقى وجاءنى بنصوص تاريخية قديمة تقرر أن قوما من قبيلة قيس نزلوا بالحوف الشرقى من مصر ، أى فى صحراء الشرقية ، وكان ذلك فى عهد هشام بن عبد الملك ، ثم وفدت

إليهم بعد ذلك جموع من إخوانهم على دفعات ، ومازالوا يكثرون حتى صاروا خطرا على ولاية مصر ، فقد ثاروا على الولا عدة مرات كان آخرها أيام المأمون ، فاجاء إلى مصر بنفسه وأدبهم وقضى على ثوراتهم . ويرى المؤرخون أنهم جاءوا من نجد ، ويجب الدكتور الحوفى أن يتصور هذا ، بدليل أنه حين أعير بجامعة الرياض كان يحن حنيننا عجيبا إلى صحراء نجد ، ويخرج للتجوال فيها !! ويذكر أنه فى إحدى المرات سأل الرائد النجدى عن نبت اشتهر بيننا جميعا منذ صبا فى بيت من الشعر مشهور هو :

تمتع من شميم عرار نجـد

فما بعد العشي من عرار

فقال للرائد النجدى ، وقد بلغ به الحنين مبلغه إلى أجداده القدامى : ناشدتك الله يا أخى فى العروبة إلا دللتنى على العرار الذى اشتهرت به صحراء نجد !!

فنظر إليه الرائد النجدى دهشا متحيرا وقال : العرار ؟ إيش هذا ؟ لا أعرفه وما سمعت به من قبل !!

وهكذا نرى أن صديقى ينتسب إلى عرب الحوف الذين ورد ذكرهم فى تلك النصوص التاريخية ، وانتشروا بعد ذلك فى الدلتا والبحيرة مسقط رأسه !!

ولكنى أخالفه فى هذا التأصيل ، وأضن به ، بل أسمو به عن أن ينتسب إلى هؤلاء

القوم المشاغبين المشاكسين الذين يقول فيهم القرآن الكريم : « الأعراب أشدّ كفرا ونفاقا » !

وفوق ذلك هناك أمر يزعجني في هذا التأصيل المزعوم هو أن تطور « الحوئي » كما يرى صاحبنا إلى « الحوئي » تطور عرفناه فعلا في بعض الكلمات العربية مثل « نوم » التي أصبحت في ألسنتنا « نُوم » ، وعرفناه أيضا في لغات قديمة كال يونانية واللاتينية ، ولكننا عرفنا بعد طورا ثالثا للصوت المركب (أو) ، وتم ذلك الطور الثالث في اليونانية ، واللاتينية في أوائل العصر المسيحي . فأطوار الصوت المركب (أو) هي أن يصبح أولا أ (أو) ثم يصبح (آ) . وأخوف ما أخافه أن (الحوئي) الذي تطور إلى (الحوئي) يتجه إلى الطور الثالث وهو (آ) فتكون الكارثة !!

لذلك أنصح صديقي العلامة البحاث أن يلتمس لنفسه تأصيلا آخر يكون أليق به ، وإلا تطورا لاسم إلى مالا تحمد عقباه !!
وأما من حيث باب دلالة الألفاظ والدكتور الحوئي ، فهناك حقيقة يعرفها المشتغلون بعلم الدلالة هي أن كثيرا من الكلمات ذات الدلالة المجردة يفهمها معظم الناس فيها تقيديا ، ويتعاملون بها فيما بينهم تعامل تقيديا . ويكفي أن نتذكر ما قرأناه في الصحف منذ أيام من أن هيئة الأمم المتحدة ظلت بجيلا من الزمن ودون جدوى تحاول أن تعرف كلمة العدوان تعريفا جامعاً مانعاً ، كما يقول المناطقة !!

ولما ألفت منذ ما يقرب من عشرين عاما كتابا في دلالة الألفاظ كان عليّ أن أنصل بأمثال الدكتور الحوئي ، وأن أوثق صلتى بهم حتى أستطيع تحديد المعنى تحديدا دقيقا لبعض الكلمات ذات الدلالة المجردة من مثل : (السباحة ، الكياسة ، العفة ، النزاهة ، الإخلاص ، الوفاء) فأوشكت دلالتها بعد ذلك أن تصبح في ذهني دلالة حسية ، لأنها تمثلت أمامي في صورة حية بين السجايا التي يتحلى بها أمثال الدكتور الحوئي !!

وأخيرا باب الأصوات اللغوية والدكتور الحوئي ، فنحن أيها السادة في دراستنا الحديثة ، لأصوات اللغة نقسمها من حيث صلتها بطريق التنفس إلى أنواع ثلاثة : ولست أدري لماذا أحب دائما أن أربط بينها وبين أنواع ثلاثة من الناس :

فهناك أصوات لغوية عند النطق بها نسمع شيئا من الدوى أو الانفجار ، لأن الطريق معها تعترضه سدود واختناقات ، وهذه الأصوات تصوّر لي نوعا من الناس هم أصحاب الجلبة والضوضاء الذين يتصاحجون دون هدف فينطبق عليهم المثل المشهور : أسمع جمعة ولا أرى طحنا ، وليس في صاحبنا شيء من ذلك ، فليطمئن الجميع !!

وهناك أصوات أخرى مجهدة مرهقة ، وعند النطق بها ينفذ الهواء من ممرات ضيقة جدا ، فنسمع لها صفيرا أو فحيحا كفحيح الأفاعي . وهي تصوّر لي نوعا من الناس

هم المعقدون ، الجدلون ، الخصمون ، الذين
يبدلون جهد المستميت في الإعلان عن أنفسهم ،
وليس في صاحبناشيء من ذلك ، فليطمئن
المجمع !!

أما النوع الثالث من الأصوات وهو
الذي أراه أشبه بصديقنا الدكتور الحوفي ،
فهو تلك الأصوات اللغوية التي حين النطق
بها لا يصادف طريق التنفس أى حوائل أو
موانع ، فينسأب النفس معها انسياها هادئا
مريحا ، وهي مع ذلك أوضح في السمع وأبين
هي الأصوات الموسيقية التي يتغنى بها ، أو
التي هي أقبل للتغنى بها ، وذلك لجمال وقعها
في الأسماع ، وحسن جرسها في الآذان .
وجهاز النطق معها أشبه بمجدول من الماء الصافي
النقي البراق الذي يتحدردون أن يكون لحرمانه
هدير أو خريير !!

وكذلك صديقنا الدكتور الحوفي يمضي في
حياته في هدوء وسكون وسلام ، وهو في نفس

الوقت واضح ، جلي ، لا التواء عنده
ولامواربة . يجيد الصمت كما يجيد الكلام ،
فيحسن الاستماع إلى الناس ، ويستمتع الناس
بحلو حديثه ، ثم لا يغريه ذلك أبدا بالصمت
عن كلمة الحق ولا إلى أن يتلى بشهوة
الكلام !!

ومن الغريب أن هذه الأصوات الموسيقية
هي أكثر الأصوات شيوعا في لغتنا العربية ،
كما برهنت على ذلك إحصاءات الحاسب
الإلكتروني ، وربما كان شيوعها في لغتنا
أكثر من أى لغة أخرى ، ولكن مع الأسف
الشديد ، من يشبهها من الناس بين أبناء
العربية في هذه الأيام قليل أوانادر !!

أما بعد : فإذا سئلت أن أعبر عن أحب
تعريف بالدكتور الحوفي إلى نفسي قلت :
هو التقي النقي ، الطاهر ، ثم أصبح علما من الأعلام
الحالدين في مجمعنا الموقر ، فأهلا به ومرحبا !!
والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة الدكتور أحمد الحوفي :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس

السادة الأعضاء

حضرات السادة والسيدات

منذ أذن لي أن أقوم بهذا المقام تخالجت في نفسي ألوان من الشكر ان ، وتسابقت إلى البوح بها والإلسان عنها ، وأنا أشعر بالمعجززة عن إيفاء كل منها ما يرضيه من بيان . وليس في الجهر بهذا العجز تزيد أو تخيل ، بل إنه للصدق المحض المبرأ من شوائب التحايل والادعاء ، فكثيراً ما تكون العواطف أسمى من الشعر ، وأقوى من النثر ، وأعصى على التبيان .

وقد كنت أحسب أنني حينما أمسك بالقلم لأعد كلمة لهذا المقام يسهل على ما أبتغي من طواعية التعبير ، ومواتاة التصوير ، وإرضاء الضمير ، فإذا بي حينما جدّ الجدل ألتفت قلمي مرضوضاً ، وأحسّ لساني معقوداً ، وأجد بياني ضئيلاً .

وأنى لي أن أستطيع شكران الله سبحانه وتعالى على جليل نعمائه ، وعظيم آلائه ، إذ

قبيّض لي أن أكون من سداة اللغة العربية الفصحى التي اصطفاها لينزل بها قرآنه الكريم ، واختار سيد بلغائها عليه الصلاة والسلام خاتماً لرسله ، ثم شاء لي سبحانه وتعالى بعد حقبة في سداة هذا المحراب أن يكافئني أعظم مكافأة ، فيسّر لي أن أكون عضواً بمجمعكم الموقر العظيم .

وكيف لي أن أوفي أخى الكريم وصديقي الحميم الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس حقه من شكرى لما طوّق به عنق من ثنائه ، ولما أضفاه على شخصي الضعيف من فضله ، ولما نوه به من ثمرات حبه؟ وإنه لأجدر مني بما وصف ، وأحقّ بما أشاد ، وأغلب ظني أن علماء المجمع قد صافى بعضهم بعضاً ، فاستننوا فيما بينهم سنة الإيثار ، فيقدم كل منهم أخاه على نفسه ، ويخلع مزاياه على غيره ، ويكسو رُصفاءه حُلاً من سماحته ودماثته ونبل مشاعره ، تحقيقاً لقول أمير الشعراء شوقي :

وما أدبي لما أسدوه أهـل
ولكن من أحب الشيء حابي

وكقوله :

رب سامح البيان نوه شأني
أنا أسمو إلى نباهة شأنه

ومن أين لي أن أقنص البيان اللائق بشكر
السادة أعضاء المجمع لانتخابي عضواً في مجمع
الحالدين، لأنال شرفاً طالماً هفت إليه قلوب
واشرأبت آمال ، ولأكون معهم كالفن
المأمول الثمر في دوحة فينانة هانية الجنى، مرموقة
القطوف منذ زمان بعيد ؟

والحق أنه شرف عظيم لي أن أنضم إلى
المجمع الأمثل الذي يكتنز صفوة من علماء
اللغة وخلفائها، وأصفياء العلوم ووحدانها،
لينموا اللغة ويطوروها ويطوعوها للتعبير
عن كل علم وفن وشأن من شئون الحياة ،
وليصونها من الحمود والتخلف ، وليرتفعوا
بها عن مضايق العامية وفقرها ، وعن مزلق
الفهاة وضيرها ، فإنه من اليسير على من
يشدّون الناس إلى أسفل ليؤثروا العامية في
خطبهم وفي شعرهم ونثرهم أن يدفعوهم إلى
أعلى ليصطنعوا الفصحى لساناً مبيناً ما استطاعوا
إلى ذلك سبيلاً .

ولعل خير فكاكة تصور حال هؤلاء وأولئك
هي قول الجاحظ: رأيت امرأة طويلة القامة
وكنّت على طعام ، فأردت أن أمارحها ،
فقلت لها : انزلي كلى معنا ، فقالت : بل
اصعد أنت حتى ترى الدنيا . فليصعد أنصار
العامية إلى سماء الفصحى ليروا الثراء والجمال
والبلاغة والافتنان .

هاشت الفصحى بياناً للعرب وعزة ،
ودامت أوثق آصرة للأخوة والوحدة، وعاش

المجمع اللغوي حديبا عليها، دعوبا على رعايتها،
محققاً ما يأمله العرب لها من نماء وثناء وحيوية
[وازدهار .

• • •

أيها السادة الأجلاء والسيدات الفضليات
من سنن المجمع الحميدة أن يعرف العضو الخالف
بالعضو السالف الذي خلفه على كرسيه .
وقد كان سلفي هو المغفور له الأستاذ
مصطفى نظيف .

١ - أما موجز حياته فإنه ولد بالإسكندرية
في ١٢ من يناير سنة ١٨٩٣ ، وبعد أن حصل
على الثانوية العامة أوفد في بعثة إلى إنجلترا ،
فدرس في جامعة برستول، وتخصص في الطبيعة
والرياضيات ونال الدرجة سنة ١٩٢٠ ،
وعاد من البعثة فعين مدرساً للطبيعة بمدرسة
المعلمين العليا حتى سنة ١٩٣٠ ، وكان يدرس
هذا العلم في الوقت نفسه لطلاب مدرسة
[الطب ومدرسة طب الأسنان، ثم عمل مفتشاً
بوزارة المعارف وناظراً لمدرسة الفنون
والصنائع ، ثم اختير سنة ١٩٣٢ أستاذاً
مساعداً لعلم الطبيعة بمدرسة الهندسة ، ثم
أستاذاً بها حينما ضمت إلى جامعة القاهرة سنة
١٩٣٥ وتولى رئاسة القسم ، إلى أن عين سنة
١٩٥٠ وكيلًا لجامعة عين شمس .

ولما بلغ سن التقاعد سنة ١٩٥٣ استبقته
الدولة وعينتته مديراً لجامعة عين شمس سنة

١٩٥٤ وبقي في هذا المنصب إلى سنة ١٩٥٦
إذ طلب إعفاهه من العمل .

وكان رحمه الله يساهم في مجامع وجامعات
شتى ، فهو عضو بالمجمع اللغوي منذ سنة ١٩٤٦
وعضو مراسل بالمجمع العلمي العراقي ، وعضو
بالمجمع العلمي المصري ورئيس سابق له ،
وعضو بالأكاديمية المصرية للعلوم ورئيس
سابق لها ، وعضو بالمجلس الأعلى للعلوم ،
وعضو بلمجنة الطاقة الذرية ، ورئيس الجمعية
المصرية لتاريخ العلوم ، ورئيس الاتحاد
العلمي العربي ، والشعبة القومية للاتحاد الدولي
لعلوم الطبيعة . وأول نقيب للمهن العلمية .

وقد نال تقدير الدولة مرات ، فحصل على
جائزة الدولة في الطبيعة سنة ١٩٤٧ ، وعلى
وسام الجمهورية من الطبقة الثانية سنة ١٩٥٥
ونال جائزة الدولة التقديرية في العلوم سنة
١٩٥٨ وهو أول من منصل عليها ، واستحق
وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى سنة ١٩٥٩ .

٢- وأما أخلاقه فقد كان رحمه الله مثالا
رائعا في الموازنة بين الشغف بالعلم والكلف
بمكارم الأخلاق .

كان كما رآه تلاميذه وخلطاءه أبي
النفس ، نقي القلب ، متأبيا على الصغائر ،
متعاليا على متاع الحياة الزائل ، دمث الطبع ،
حلو العشرة ، أنيس المجلس ، جهم التواضع .
وكان كما اعتاده خلدصانه زاجر العلم ، عميق
الفكر ، دقيق المعرفة ، مفخرة للعلم وللعلماء ، أعاد
إلى الأذهان مواقف السلف العظيم الذين كانوا

يعتزون بعلمهم في كل مقام ، فقد عقد المؤتمر
العلمي العربي الأول سنة ١٩٥٣ بالإسكندرية ،
وانتخبه الأعضاء بالإجماع رئيسا ، فلما أقبل السيد
رئيس الجمهورية ليشهد جلسة الافتتاح ،
ابتدأ الأستاذ مصطفى نظيف خطبته في المؤتمر
بقوله : « لقد مضى الزمن الذي يسعى فيه العلماء
إلى الحكام ، وجاء الزمن الذي يسعى فيه
الحكام إلى العلماء » .

وكان رحمه الله مضرب المثل في نهوضه
بأعماله ، وفي حرصه على مواعيد عمله ، وفي
كلفه بالإنتاج ، فلم يتخذ عن جلسة ، ولم
يحضر جلسة إلا وهو دارس ما سيرض فيها
دراسة أمينة بصيرة ، فإذا المشكلات التي غُمّت
وأعضلت تسفر وتستبين ، ويحصي الحق
ويبتجج الأعضاء . وكان غيوراً على الفصحى ،
ومن أول الدعاة إلى تدريس العلوم بها في
الجامعات ، وقد ابتدأ هو بالتنفيذ العملي ،
فدرس علم الطبيعة باللغة العربية في مدرسة
المعلمين العليا منذ العقد الثالث من هذا القرن ،
ودرس بها في كليتي الهندسة والعلوم ،
وساهم في هذا المجال بمؤلفاته ومحاضراته
ومشاركته في لجنة العلوم الرياضية والهندسية
والطبيعية وعلم النفس بالمجمع اللغوي ، وكان
علمه بالعربية يسعفه بالمصطلحات التي يراها
كفيلة بتأدية المعاني .

٣- وأما إنتاجه فإنه لإنتاج عالم جيهـبـاذ ،
يعرض الموضوع في كتاب أو بحث أو محاضرة
عرضاً شائقاً في لغة فصيحة ، وأسلوب بارع ،
ودقة في الفكرة ، وأمانة على العلم ، لا يتسهل

ولا يتهرب سواء أكان الموضوع في مجال تخصصه أم في غيره .

وحسبنا أن نذكر ثلاثة من كتبه :

(1) الحسن بن الهيثم .

بحوثه وكشوفه البصرية

نشرته جامعة القاهرة في سنة ١٩٤٢ ،
١٩٤٣ في مجلد ين تقارب صفحاتها ألف
صفحة .

درس في هذا الكتاب ابن الهيثم دراسة
مستوعبة كشف فيها عن عبقريته وعن بحوثه
المبتكرة في علم الضوء ، وبين آثارها في نهضة
علم الضوء الحديث ، ونوه بفضله في إبطال
ما سجد له أو قليدس وبطلليموس وغيرهما من أن
الإبصار يتحقق بخروج شعاع من العين إلى
الشيء المرئي ، وأثبت أن للضوء حقيقة ذاتية
إذ يدخل الضوء إلى الشبكية ومنها إلى المخ
فيحدث انطباع الأشكال .

ووضح أن ابن الهيثم هو صاحب الرأي
الصحيح في الأضواء الذاتية والعرضية
والمنعكسة وفي الفجر والشفق والكسوف
وقوس قزح ... إلخ ، وأنه السابق إلى الطريقة
العلمية التي يزعم بعض الدارسين أنها من
ابتكار علماء الغرب ، إذ كان يعتمد على
الاستقراء ، وعلى القياس ، وعلى التمثيل ،
وبهذا سبق « فرنسيس بيكون » وتفوق عليه :

وكان الأستاذ مصطفى نظيف يحض على
أحياء ما بقي من تراث ابن الهيثم وأضرابه
من العلماء العرب ، ويلج في أن نبصر به
أبناءنا الدارسين وننوه به ، ولا يقتصر
تنويرنا على بطليموس وأوقليدس
وروجربكون ودافنشي وكبلر وغيرهم .

ويقتضيني الإنصاف أن أجهز بأن الأستاذ
الدكتور عبد الحليم منتصر قد أعلن مرات -
وهو عالم كبير لرأيه قيمته - أنه إذا كان
ابن الهيثم قد تهادى إلى حقائق عظيمة في علم
الضوء فإن الأستاذ مصطفى نظيف هو الذي
أنجلى هذا العلم في العالم العربي بعد ابن الهيثم .

(٢) علم الطبيعة

نشأته ورقبه وتقدمه الحديث

طبع سنة ١٩٢٧ في نحو أربع مئة وخمسين
صفحة .

ألم في هذا الكتاب بالمسائل الأولى في تاريخ
علم الطبيعة منذ نشأته في العصور القديمة إلى
أحدث نظريات العلماء المعاصرين .

وأولى عناية خاصة النهضة العلمية العربية
الإسلامية وعلم الفلك عند العرب ، وآراء
فلاسفتهم في الطبيعة والميكانيكا وعلم الصوت
والحرارة والمغناطيسية والضوء .

(٣) البصريات الهندسية والطبيعية

نشره سنة ١٩٣٠ في نحو ثمان مئة صفحة

هذا الكتاب أول كتاب باللغة العربية نهض
بدراسة علم الضوء إلى مستوى الدراسات
الجامعية عالج حقائق علمية متصلة بالضوء
مثل الانعكاس والانكسار والعدسات والحركة
الاهتزازية والحركة الموجية ووصف العين
والنشت والألوان والتحليل الطيفي : الخ :

أما بعد

فقد كان الأستاذ مصطفى نظيف مفعرة للعلماء
ولأعضاء المجمع اللغوي تفكيراً وإنتاجاً

وسلوفاً وسدانة للعربية الفصحى ، فحق للشاعر
الكبير الأستاذ عزيز أباظة أن يقول في رثائه :

وجد الهيثم ذهنأ صافياً
كشف الأستار عنه والسدولا

أيا الباحث عن تاريخنا
إن في تاريخنا مجداً أثيلاً

من يكن بالعلم غدى معهدا
فنظيف وحده علم جيسلا

يانظيف العرض والنفس لقد
حمد الشرق لك الجهد الجليل

والسلام عليكم ورحمة الله :

●●● كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر في استقبال :

صحة

الدكتور حامد جوهر

كان يحرص على قراءة إنتاجهم الفكري والشعري والأدبي ما استطاع إلى ذلك سبيلاً :
التحق أول الأمر بكلية الطب ، ومع نجاحه بتفوق في السنة الإعدادية ، فإنه آثر أن يتحول إلى كلية العلوم ، وكانت جديدة على مصر بل على الشرق العربي كله . فقد كنا نعرف مدارس الطب والهندسة والمعلمين وما إليها ، وكنا نعرف الطبيب ، والمهندس ، ومدرس الكيمياء ، أو الطبيعة ، أما الكيميائي أو الطبيعي أو الجيولوجي أو النباتي ، فلم يكن لنا به عهد ، بل لم يكن لمصر به عهد ، حتى قال أحد المسؤولين لأحد أفراد الدفعة الأولى ، ومن بينهم زميلنا الكريم — وقد سأل عن الشهادة التي حصل عليها — عندما قيل له « بكالوريوس علوم » : ولم لا تقول « بكالوريا علمي » أحسن ؟

وكذلك تخرج صاحبنا في كلية العلوم وعمل معيداً بها لتفوقه ، واختاره أستاذه ليجلس في فسيولوجيا الحيوان فحصل على درجة الماجستير في هذا الفرع من العلم بعد عامين من تخرجه :

عشق البحر وعرائسه فتبطل إليه أربعين عاماً ، سكن إلى شواطئه ، يطالع أمواجه إذا أصبح ، ويتطلع إليها إذا أمسى ، يركب أمواجه سائحاً جاثلاً ، ويغوص في لخته باحثاً منتبهاً ؛
ذلكم هو زميلنا الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر الذي نستقبله اليوم عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية ؛ لنفيد من علمه وخبرته الطويلة بالبحار وعلومها .

ولد الدكتور جوهر سنة سبع وتسعمائة وألف ، والتحق بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية الابتدائية ، وحفظ جانباً من القرآن الكريم ، ثم تتلمذ على الأستاذ عبد الله عفيفي بالثانوية الملكية فتأثر به في حب اللغة العربية ، وبخاصة الشعر ، الذي حفظ منه الكثير ، بل حاوله في صدر شبابه . إنه من الجيل الذي تتلمذ على أعلام الشعر واللغة والأدب في العصر الحديث : شوقي ، وحافظ ، ومطران ، والمنفلوطي ، والعقاد ، والزيات ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، إنه الجيل الذي

ولكنه ما كاد يرى البحر الأحمر في محطة الأحياء البحرية بالغردقة ، حتى شغفه حباً ، ولا اعتبارات علمية ووطنية آثر المقام على شطآنه ليعمل مساعداً للرئيس الأجنبي ، فقد لاحظ أن العينات البحرية الثمينة من كائناته ورنخوياته ومرجانياته يبعث بها إلى المتاحف العلمية الأجنبية ، فأثر أن يمضي زهرة شبابه ليكون حارساً أميناً على ثرواتنا العلمية من البحر ، وكأنما فتنته عرائسه فاتخذ من البحث العلمي في كائناته وأسماكه ذريعة وتعلية ، ليبقى بجوارها متبتلاً في محرابها ، خبيراً عالمياً من خبراء البحر المرموقين .

إنه صاحب الرأي القائل بأننا يجب أن نعيش عصر البحار قبل أن نحاول عصر الفضاء . وإن أعالى البحار حق مشاع للجميع ، فمالنا نتطلع إلى الفضاء الواسع العريض قبل أن نرتاد البحار ونغوص في أعماقها ، ونستخرج ما فيها من كنوز ونستنفذ ما بها من ثروات . إن ثلاثة أخماس سطح الكرة الأرضية ، إنما هي بحار ومحيطات ، بها من الكنوز المعدنية والغذائية والبروتينية ما يكفي مئات الملايين من البشر غذاء وكساء وصناعة . إن نفقات البحوث البحرية محدودة وعائدها مضمون ، أما نفقات بحوث الفضاء فباهظة ، وعائدها غير مضمون . إن أهم مشكلات العصر هي الانفجار السكاني مع ازدياد الطلب على الموارد الأولية المحدودة ، فمالنا نقصر هذا التقصير الشديد في استغلال البحار الواسعة العريضة :

وكذلك تابع البحث العلمي المنظم في كائنات البحر الأحمر ، حتى حصل على درجة الدكتوراه في العلوم في هذا الفرع من المعرفة ، ولعله أول من حصل عليها في مصر . ومع ذلك فلم تفتنه الدرجات العلمية التي حصل عليها ، ولا البحوث العالمية التي نشرت باسمه في أرقى المجلات العلمية والتي نوهت بها المحافل العلمية الدولية . لم يفتنه ذلك كله عن البحر وعرائسه ، ولم يدفعه إلى التطلع إلى المناصب التي تشرف بها ، ولا إلى سكنى المدينة بدلاً من الغردقة ، حيث زرقة السماء والماء وحيث الجوالد في شتاء والمعتدل صيفاً ، وحيث الكائنات البحرية من رنخويات ومرجانيات يسعى إليها في زورقه الناضوري ، ذى القاع البلوري ، يزورها كل صباح ، ولا يعود إلى معاملته ومختبراته ، إلا بعد أن يسجل مشاهداته وملاحظاته ، وبعد أن يأخذ عيناته يجري عليها تجاربه بعد فحصها بعنساته ومجاهره . وكذلك أمضى الدكتور جوهر زهرة شبابه ، بل وسنى كهولته باحثاً دارساً للبحر ، حتى غدا خبيراً عالمياً مرموقاً من خبرائه ، فخرج على الناس بعشرات البحوث المنشورة في أرقى المجلات العلمية والعالمية .

بقى الأستاذ في صومعته ، وإن طلابه ومريديه ليحججون إليه ، يتعلمون عليه ردهاً طويلاً أو قصيراً ، إلا أنهم لا يلبثون أن يدفعهم الحنين إلى المدينة ، مغانينها ومرابعها فيتركوا الغردقة بعد عامين أو ثلاثة ، ويقطعوها فترات كيلا يبتعدوا طويلاً عن حياة المدينة . أما صاحبنا فإنه قائم

بالبحر لا يبرح ولا يريم ، وبتتابع الأعوام ، يتأسس طلابه فيعودون سراعاً إلى مناصبهم ومعاملهم وكنياتهم في هذه الجامعة أو تلك وفي هذا المعهد أو ذاك ، ويبقى صاحبنا في مهجره الذي ارتضاه لنفسه طائعاً مختاراً ، فقد كرس حياته لدراسة علوم البحار ، وليكون مدرسة من الباحثين ، يوجه طلابها ، كلاً للدراسة فرع من فروع البحث المتشعبة ، وإنما هدفه من ذلك خلق جيل يستطيع الاضطلاع بشتى نواحي البحث في البحار المصرية ، ويستطيع بفهمه الأكاديمي حل المشاكل المختلفة الخاصة باستغلال الثروة المائية لهذه البحار استغلالاً حسناً :

على أنه وجه جانباً من اهتماماته بأحياء المياه العذبة ، وبخاصة القواقع ناقلة الأمراض الطفيلية للإنسان والحيوان وكذلك أسماك النيل ذات القيمة الاقتصادية . وتمتاز بحوثه ودراسته بأنها متكاملة ، لا ينتقل من بحث لآخر ، إلا بعد أن يحيط بجوانبه المختلفة .

ولعل لا أغالى إذا قلت إنه أول مصري في العصر الحديث يشتغل بعلوم البحار على البحر الأحمر ، كرس حياته لها منذ أكثر من أربعين عاماً ، حين تسلم محطة الأحياء البحرية بالغردقة جنيناً أووليدا ، فنهض بها حتى يفعت على يديه ، وغدت معهداً له مكانته الدولية يفد إليه للدراسة العلماء والطلاب من كل رجا من أرجاء العالم :

لأنه ابن ماجد العصر الحديث ، فإذا كان ابن ماجد قد قاد رحلة فاسكودى جاما في

أعلى البحار منذ قرون فإن الدكتور جوهر يقود البحث العلمى البحرى فى الوطن العربى فى القرن العشرين .

لقد كان الربان المـسـاـهـر لسفينة البحث العلمى فى البحار المصرية ، فشارك ، وأشرف على تنسيق بحوث الثروة المائية فى مصر منذ أكثر من ربع قرن من الزمان ، فليس ثمة معهد ينشأ ، أو بحث بحرى ، أو بعثة توفد ، إلا وهو صاحب رأى الأول فى الإنشاء أو الإجراء أو الإيفاد وكذلك تتلمذ على يديه عشرات ممن حصلوا بإشرافه على درجات الماجستير والدكتوراه .

لقد أنشأ متحفاً بحرياً رائعاً ، به مجموعات تحتوى على الغالبية العظمى من حيوان البحر الأحمر ونباته ، بحيث تعد مرجعاً للدراسة وهذا البحر ، كما أنشأ مكتبة تضم أغلب المراجع الأساسية لدراسة البحر الأحمر ، تجمع معظمها عن طريق التبادل مع المعاهد العلمية البحرية العالمية . كما أنشأ معهد الأحياء المائية بعنقة بالسويس ، وأقام به متحفاً آخر لأحياء البحر الأحمر ، نسقها تنسيقاً تصنيفياً وبيئياً على أحدث النظم والأصول العلمية . وأنشأ كثيراً من المماهات أو معامل البحث المائية التى تزود بماء البحر الحارى ، وهى فى الوقت نفسه مـرـبـى مائى خاضع للبحث والتجريب ، وخاصة ما يسمى بالتجارب الضابطة . وكم شهدنا القروش والحيتان وعرائس البحر فى مماهات الدكتور جوهر

بالفرقة ، تسبح وتغتنى وتتكاثر وهي تظن أنهم بمنأى من أعين الرقباء والدارسين وخاصة عيني زميلنا «جاحظ» العصر، الذي أعاد تجارب زميله التي أجراها منذ نحو من ألف عام على الطير والحيوان والحيات فراقب سلوكها ، وسقى بعضها خمراً ليرى أثرها عليها ، فكذلك فعل زميلنا ، ولكن بأسلوب العصر وأجهزته وأدواته ، وعلى الحيوانات المائية خاصة ، وإنما تجمعهما الدقة العلمية والأناة والصبر والمثابرة— وإذا قلنا : إن أبا عثمان كان أستاذاً في علم الحيوان التجريبي وفي سلوك الحيوان ، وفي علم الشكل ، فإن زميلنا الكريم أستاذ بمقاييس العصر العالمية ، وبكل ما تحمله الكلمة من معنى في علوم البحار بعامة ، ورخوياته ومرجانياته وأسماكها بخاصة .

ولقد نشر الدكتور جوهر بحوث محطة الأحياء البحرية ، وأشرف على طبعها ، وتبادلهامع مايزيد على ثلاثمائة معهد في الخارج ، وظل يشرف على نشرها بانتظام مايزيد على ربع قرن من الزمان .

ولقد كسب الدكتور جوهر ببحوثه ودراساته شهرة عالمية ، فشارك في عشرات المؤتمرات الدولية في علم الحيوان ، وعلوم البحار والمصائد والبيولوجيا الإشعاعية في الأحياء البحرية ، وأسهم فيها جميعاً ببحوثه المبتكرة الأصيلة ، كما زار عدداً كبيراً جداً من الجامعات والمعاهد الخاصة بعلوم البحار والمصايد ومحطات الأحياء البحرية ومتاحف

التاريخ الطبيعي والمهايات في مختلف أنحاء العالم . ولأنه يقوم ببعض هذه الزيارات على نفقته الخاصة ، ولا يبخل عليها بوقت أو مال لأنها من أجل العلم ، ومن أجل الوطن ورفعته شأنه وسمعته العلمية .

ولعل من مظاهر تقديره العلمي في الخارج أو في الوطن العربي ، أن دعت جامعة كمبرج لمتابعة بحوثه التي بدأها في الخارج ، ولعلها كانت أول دعوة من نوعها بالنسبة لمصر والمصريين ، كما انتخبته أكاديمية العلوم في واشنطن للعمل عضواً رسمياً في المؤتمر الدولي لمعاهد الأحياء البحرية سنة خمس وخمسين ، علماً بأن مجموع الأعضاء اثنا عشر فقط ، وكذلك اختارته هذه الأكاديمية عام ثلاثة وستين للاجتماع الذي عقد بمدينة كومو بإيطاليا لدراسة تنشيط معاهد الأحياء البحرية ، وخاصة بمنطقة البحر المتوسط .

واختارته هيئة الأمم المتحدة سنة سبع وخمسين مستشاراً للسكرتير العام في علوم البحار ضمن هيئة من عشرة مستشارين ، ثمانية منهم خبراء في القانون الدولي ، وواحد في شؤون المصايد البحرية ، وذلك لتنظيم المؤتمر الدولي لقانون البحار ، وكذلك اختارته الوكالة الدولية للطاقة الذرية سنة تسع وخمسين في المؤتمر الدولي للتخلص من مخلفات المواد المشعة . وكان رئيساً للجنة التخلص من مخلفات المواد المشعة في البحر ، وكانت هذه اللجنة واحدة من اثنتين رئيسيتين تكون منها المؤتمر .

وقد أبرمت معه الوكالة الدولية للطاقة الذرية عقوداً لإجراء بحوث للكشف عن التلوث الذرى بماء البحر باستعمال الأحياء البحرية ، أشرف فيها على مجموعة من هيئة البحث بالمؤسسة المصرية للطاقة الذرية : وانتخبه المجمع الهنـدى للأحياء البحرية عضواً مراسلاً علماً بأن عدد الأعضاء المراسلين لا يزيد على عشرة لأن العضوية فخريـة . كما اختارته منظمة الأغذية والزراعة بهيئة الأمم المتحدة عضواً بلجنتها الاستشارية. وأوفد متحف التاريخ الطبيعى بنىويورك الدكتورـة يوجينى كلارك للعمل تحت إشرافه على الأسماك السامة لمدة عام ، وأتبع ذلك بإرسال سبعة من البحارة لنفس الغرض :

كما اختارته المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية عضواً فى مفاوضات الحكومة السوفيتية للتعاون فى مجال الصيد فى سنة ثلاث وستين . ثم عضواً فى اللجنة الثنائية العربية السوفيتية المشتركة لتنفيذ الاتفاقية العربية السوفيتية فى مجال الصيد : واختاره المجلس الأعلى للبحث العلمى بالعراق لدراسة موضوع إنشاء محطة للأحياء المائية والبـت فى تقارير سبق أن وضعها خبراء فى هذا الموضوع :

وزميلنا هورثيس جمعية علم الحيوان بجمهورية مصر العربية منذ إنشائها سنة ثمان

وخمسين ، ورئيس للجمعية المصرية لعلوم البحار ، وزميل بالأكاديمية المصرية للعلوم ، وعضو مجلس إدارة الاتحاد العلمى المصرى ، وأمين صندوقه ، ونائب رئيس المجمع المصرى للثقافة العلمية ، وزميل أكاديمية علم الحيوان الدولية بالهند ، وزميل الأكاديمية الدولية لعلماء المصايد بروما ، وعضو مراسل فى المجمع الهنـدى للأحياء البحرية ، وعضو المجلس الأعلى للمصايد منذ إنشائه ، وبلجان تنسيق بحوث الثروة المائية ، وعضو مجلس كلية العلوم بجامعة القاهرة ، وعضو اللجنة الدائمة لفحص الإنتاج العلمى للمتقـدمين لوظائف الأستاذية بالجامعات فى علوم الحيوان والحشرات [وعلوم البحار : وقد نال جائزة الدولة سنة ١٩٥٣ :

أيها السادة الزملاء

يطول بنا الحديث إذا أنا حاولت استقصاء أعمال زميلنا الكريم ، وقد آثرت أن ألوذ باتفاقنا على الاختصار ، عجزاً منى عن ملاحقة هذا الربان العالمى الماهر ، أحد علماء العالم المعدودين فى علوم البحار ، أقدمه فخوراً به أن يكون أحد أعضاء مجتمعنا الموقر ، فعضويته كسب للمجمع الذى يضمه ، وزمـالته شرف للهيئة التى إليها ينسب ، والسلام .

◆ ◆ كلمة الدكتور حامد جوهر

سيدي الأستاذ الكبير الرئيس :

سادتي أعضاء المجمع الموقرين :

سيداتي وسادتي :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ؛
ففي هذا المقام وأمام هذا المجمع الموقر من
الجهابذة العظام ، أرباب البلاغة والإبداع ،
وقادة الفكر والعلم والبيان ، ليس أحكم من
القصد في القول ، وبخاصة وقد وسع كرمكم
ورحابة صدركم أربعة من الأعضاء الجدد دفعة
واحدة ، وكان عليكم أن تستمعوا في هذا
الاجتماع إلى ست كلمات (١) .

ولما لم أكن فارس هذا المضمار فلا ينبغي
[١] إلى إلا أن أفسح الميدان لزملائي الذين حباهم
الله ظلاقة في اللسان ، وطلاوة في الحديث ،
وكلهم كذلك والحمد لله .

ولكن الأمر الذي لا مفر منه ، وهو من
أحب الأشياء إلى القلب ، أن أبدأ بإزجاء
الشكر لكم جميعا ، إذ تفضلتم فحبوتموني بهذا
الشرف الذي لم أكن لأتوق إليه ، أو تشرئب
إليه نفسي ، أو يصبو إليه مثلي . ولكن
سماحتكم كانت فوق ماتصورت وتصور لداتي .

ولا مزية في أن أهم ما يفعم النفس من
مشاعر في مثل هذا الموقف إنما هو الشعور
بالاعتزاز بالانتساب إلى مجتمع الموقر الذي
يسجل له الزمن كل يوم من الخدمات في سبيل
إعلاء لغة القرآن ، وإبراز طاقاتها الخلاقة
والذود عنها من مفريات أعدائها الكثيرين ،
ما يجعل الانتساب إليه شرفا لا يدانيه شرف ،
وأمنية يحلم بها أعلام العلماء وأرباء الأدباء :

وإنني إذ أعز بهذا الشرف الذي أوليتموني
ليشاركني في ذلكم زملائي من المشتغلين بالعلوم
الطبيعية ، إذ لامراء أن في ذلكم لتقدير للدور
الخطير الذي تلعبه العلوم الطبيعية في عصرنا
الحاضر . ليس هذا فحسب ، ولكنه أيضا
تقدير لما ظلت بلادنا العربية في أمس الحاجة
إليه ؛ من نشر الوعي العلمي والحياة بالعلم بين
شعوبها . وتعريب التعليم العلمي في جميع
مراحله . تلكم الأمور التي يزاد الإحساس بها
والحاجة إليها يوما بعد يوم ، والتي تتطلب منا
جهودا مضاعفة للحاق بالتقدم الخيالي الذي
تحرزه العلوم في كل لحظة في سائر بقاع
العالم . ولنكون أقوى عدة وأكمل عتادا لما
يجابهنا وسيجابهنا من معضلات .

(١) كان من المقرر أن يستقبل الأستاذ مصطفى مرعي في هذا الحفل ، مع زملائه الجدد ، ولكنه اعتذر لسفره إلى
الخارج ، فتأجل استقباله للدورة الأربعين .

سادتي :

إني ، وإن عجب بعض الناس ، لأجد ميادين مشتركة بين عمل مجتمعتكم الموقر وعمل المشتغلين بالعلوم الطبيعية والتجريبية . ولأضرب مثلاً لهذا : ميدان « الكلمة » . إن أهم ما يميز العلوم الطبيعية أو على الأصح أهم مقوماتها هو الدقة ، بل إن المعرفة في المجالات الطبيعية لا تصبح علماً إلا إذا خضعت للوصف المدقق والتعبير السليم والقياس المحكم . وهل بدون الكلمة السليمة والصحيحة المختارة يمكن أن نسجل معرفة ما ، أو أن ننقلها من شخص لآخر أو من جيل لما بعده من أجيال ؟

لذلك فالمشتغلون بالعلوم الطبيعية حريصون الحرص كله على وزن اللفظ بأحكام الموازين وتعريف الأشياء والأفعال بأوضح التعاريف ، فلا يطلق اللفظ إلا على معنى واحد أو شيء واحد ، فلا تلتبس المعاني الواحد في الآخر ، ولا تندغم المفاهيم أو تتداخل . وهذا أيضاً هو سبيلكم في عملكم الذي يسعدنا أن نسير معكم فيه على هديكم .

وتلكم العلوم الطبيعية الجامدة ، التي تقوم في كثير من الأحيان على القياس والتركيب والاستنتاج والتعقيب والتعقيد ، بحيث تكاد تنطمس فيها معالم الجمال ، من أشد المشتغلين بها حاجة إلى شيء من الجمال يرفهون به عن النفس المكثودة ! ولأنهم لو وجدوه في البحث

عن اللفظ السليم يطابق المعنى المنشود ، فإذا وفقوا إليه طربوا له طربهم للقطعة الموسيقية أو الصورة الجميلة .

سادتي :

ليس بي ولا بكم من حاجة للقول : إني لست متفقهة في اللغة ولا ما لكنا لناصيتها ، ولكني أراكم وقد بلغت الأوج في اللغة والقمة من بيانها وبديعها ، وغصتم في أعماق تاريخها وألمتم بكل أبعادها ، أضفتم علوماً متعددة متنوعة . ومنذ سنوات كثيرة أدركتم بثاقب فكمركم وبعد نظركم دور العلوم الطبيعية والتجريبية في الحياة العصرية ، فأضفتم تخصصات جديدة وهأنتم الآن تضيفون فضلاً جديداً وتخصصات أخرى مما نرجو أن يكون فيه إثراء للغتنا العتيقة الجميلة ، وإثبات لقدرتها على مجازة التقدم السريع . فإذا كانت اللغة هي الروح فمختلف العلوم والفنون أجسادها ، وإذا كان لابقاء للجسد بالروح ، فلا كيان لروح بلا جسد .

سادتي أعضاء المجمع الموقرين :

لقد شئتم أن أشغل الكرسي الذي كان يشغله المرحوم الأستاذ الحليل عبد الفتاح الصعیدی ، وتقضى تقاليد المجمع المبادرة بالحديث عن السلف الذي دعيت إلى خلافته وفي ذلكم ظلم للراحل الكريم عظيم ، فلقد

كنت أؤثر أن يحمل عبء هذا غنى من هو
أبلغ منى لسانا وأقوى بيانا ، لينفى ذلكم
الرجل الجليل حقه . ولكنه كان سمحاً متواضعاً
في حياته ، ولا أعتقد إلا أن السماحة والتواضع
ما برحا روحه في مماته .

ولاني لأستأذنكم أيها السادة أن أقف هنيهة
أترحم فيها على روح شيخنا الفاضل ، وأبكي
فيها زمالته الموثقة ، وأخلاقه القويمة ، وعلمه
الغزير ، وفضله الوفير ، وأتجه إلى الله تعالى
أن يسكنه فسيح جناته ويجزيه الجزاء الأوفى .

لم تطل معرفتي بالزميل الكريم بقدر
ما كنت أتمنى ، فلم تزد على نيف وعشر
سنوات . وقد اختطفته يد المنون وهو أكمل
ما يكون صحة ، وأوفر ما يرجى نشاطاً ،
وأحرص ما يكون على أداء واجبه كاملاً .

لقد كان رحمه الله وفيًا للمجتمع أعظم
ما عرف الرفاء ، وكان غفلاً له أكل ما يغني
الإخلاص ، وكان الجميع ملء قلبه وبصره
وسمعه ، لا يقتسم قلبه مع الجميع مقتسم .
كان كذلك حتى آخر لحظة في حياته . لفظ
أنفاسه الأخيرة وهو في طريقه إلى المجتمع
ليؤدي واجبا نحو زميل مثله عظيم سبقه إلى
لقاء ربه . فكانت صدمته صدمة قاسية
أصاب كل عارفه ، وعارفه علمه وفضله
ووفائه وإخلاصه .

كنّا في لجنة علوم الأحياء والزراعة نغوص
في بحر لغة القرآن ، سعياً إلى إخراج لآله
ودره وجواهره وكنوزه الوفيرة ، فكانت

تتلاقفنا بلحج معجزاتها ، وتبجاذبنا تياراته ،
وكانت عملية شاقة مضيئة : فكان لابد لنا من
ربان ماهر خبير بسبل هذا الخضم العظيم ،
ومسالكه ، فكان من المآثر الغر لمجتمعنا الموقر
أن أهدانا في لختنا زمالة هذا العالم المبرز
الذي وهب نفسه خالصة للمجتمع ورسالته ،
وكان له اهتمام خاص أصيل بتعريب
المصطلحات العلمية والفنية . يدافع عن
المصطلحات العربية السليمة ، وعن الألفاظ
التي تحل محل الدخيل منها ، دائب البحث
والتنقيب عن مفردات اللغة في شتى النواحي ،
ودلالاتها ، مؤمناً بسعة اللغة ووفائها بمطالب
التقدم العلمي والفني .

وجد فيه أعضاء لختنا العالم المتواضع
جليل الشامل ، صافي الود ، رضى الخلق ،
متوقد النشاط ، دائب العمل ، محبا للبحث ،
فالبتوا أن أنسوا إليه واتخذوا منه صديقاً
حميلاً وزملاً كريماً مكرماً ، لم نجد أسعد
ولاً أحب إلى النفس من زمالته وصحبته .

لست أريد أن أستغرق وقتكم في سرد
تاريخ حياته ، وقد وفي ذلكم زميله الجليل
الأستاذ عبد الحميد حسن حين رثاه إلى
المجتمع : وكل ما أحب أن أخص بالذكر هنا
أنه كان عضواً في أربع لجان علمية بالمجتمع ،
كما راجع دستور الأدوية من الناحية اللغوية
بتكليف من وزارة الصحة ، وهو أول دستور
رسمي يظهر باللغة العربية ، كما نشر بحثاً عن
« مصطلحات العلوم في اللغة العربية ودور
المجتمع فيها » .

ساذق :

إذا ذكر المرحوم الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي ، فلا شك في أن أول ما يطرق أذهاننا ذلكم العمل الفذ والأثر المفيد الخالد الذي أنجزه سنة ١٩٢٩ هو وزميل كريم له ، ألا وهو معجم « الإفصاح في فقه اللغة » فقد جمع فيه مفردات اللغة طبقا لما تنتمي إليه من فصائل المعاني ، كالرياح والسحب الأشجار والثمار والملبس والمسكن وغير ذلكم . وفي سنة ١٩٦٤ نشر طبعة ثانية منه موسعة ، وصلت إلى ضعف الأولى . ولقد كان هذا المعجم العظيم خير رفيق ومعين لنا في البحث عن كلمات عربية تقابل المصطلحات الأجنبية .

والله أدعو أن يتعهد الفقيد الكريم بفيض ، رحمته ، وأن يجزيه بما عمل خير الجزاء :

والآن أرجو أن تأذنوا لي بكلمة واحدة أتوجه بها إلى الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر لأسأله : كيف جاز له أن يقول في كل ما قال ؟ وهو مني الأخ والزميل وصديق العمر ؟

إنني في الواقع لا إخال إلا أن منتصر (اسما ووصفا بأمر الله مستديما) لا إخال إلا أنه يتقمص شخصية أخرى ليشحن قريحته ويرسل بيانه ليمتدح إخوانه .

إنني لم أوت من البلاغة بعض ما أوتي ، ولن أتمكن من الرد عليه بمثل ما قال . وإنما يحق لي أن أقول : إنني أعتز كل الاعتزاز بما أنتم خير من يعرفون فيه ويقدرون له ، إلى جانب امتياز العلمى ، من رسوخ قدمه وعلو كعبه في شئون اللغة ، فلا قبل لي بأن أتبارى معه في هذا المضمار . وكل ما يمكنني أن أفعله هو أن أزجي إليه الشكر خالصا عطرا .

وأخيرا أكرر لكم جميعا شكرى وعرفانى بعظيم جميلكم ، وأدعو الله تعالى أن يجعلني أهلا لثقتكم الغالية ، وأن يوفقنا جميعا إلى ما فيه خير أمتنا ولغة القرآن الكريم ، وأن يهدينا سواء السبيل ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

●●● كلمة الأستاذ إبراهيم البان في استقبال :



الدكتور إبراهيم الدمرداش

السنوات من ١٩٣٠ إلى ١٩٣٣ نال تدريبا عمليا
واسعا في أربعة مصانع كبرى هي :

١ - مصنع M.A.N بجوستا فسبرج
M.A.N. Gustavsborg

٢ - مصنع G.H.H. بأوبرهاوزن
G.H.H. Oberhausen

٣ - مصنع كروب براينهاوزن
Krupp., Rheinhausen

٤ - مصنع دورمان لونج بلندن
Dorman Lorg & Co., London

ثم درب بعد ذلك في سنة ١٩٣٦ وسنة
١٩٣٩ في شركتين كبيرتين هما :

١ - شركة Buss والسكك الحديدية
السويسرية .

٢ - وشركة De Havilland لصناعة
الطائرات بانجلترا .

ولما عاد إلى مصر استقبل حياته العملية
بعزيمة قوية وثابة ، وقام لأتمته وبلاده بعدد

بسم الله الرحمن الرحيم

ولد السيد الأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم
الدمرداش بالقاهرة في ٧ من أكتوبر سنة ١٩٠٦
وتابع دراسته الابتدائية والثانوية فإلعالفة
بنجاح وامتياز ، حتى حصل على دبلوم
مدرسة الهندسة الملكية في سنة ١٩٢٥ وكان
أول الناجحين ، ثم سافر إلى سويسرا ، وهناك
حصل من جامعة زيوريخ في سنة ١٩٢٨ على
دبلوم الهندسة المدنية ، ثم مضى قدما في
دراسته حتى نال منها في سنة ١٩٣٠ درجة
الدكتوراه في العلوم الهندسية . وفي ذلك الحين
كان التعيين في تلك الجامعة مقصورا على
السويسريين ولكن الأستاذ Karner الذي
كان قد لمح فيه مخايل التفوق العقلي والعلمي
استطاع أن يتخطى هذا الوضع الجامعي العام
ويعينه مساعداً له .

هذا بلإجاز هو تاريخ دراسته العلمية ،
ولكنه جمع في دراسته بين العلم والعمل ، ففي

من الخدمات الجلية في داخل كلية الهندسة وخارجها وفي خارج الجمهورية أيضا . وبدأ من ذلك بحياته في الكلية :

في سنة ١٩٣٥ عين مدرسا بمدرسة الهندسة ثم توالى بعد ذلك خطوات الترقية المعروفة فرقي في سنة ١٩٣٩ أستاذا مساعدا ، ثم عين في سنة ١٩٤٤ أستاذا في كلية الهندسة بجامعة القاهرة حيث شغل على التوالى ثلاثة كراسى مختلفة الاختصاص هي :

١ - كرسى حساب الإنشاءات :

٢ - وكرسى الكبارى والإنشاءات المعدنية .

٣ - ثم كرسى تصميم هياكل الطائرات ، وهنا عين رئيسا لقسم هندسة الطيران :

وقد أتيح للكلية أن توضع تحت إدارته أكثر من مرة :

١ - فقد انتخب عميدا لها في سنة ١٩٥٢ :

٢ - وتحت نظام التعيين عين عميدا لها في سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٦٢ .

هذه صورة موجزة لحياته داخل الكلية ، ولكن نشاطه امتد إلى خارج الكلية كما قلنا من قبل :

١ - فقد انتخب عضوا في اللجنة الدائمة للجمعية الدولية للكبارى والإنشاءات في سنة ١٩٥٢

٢ - واختاره زملاؤه المهندسون نقيبا لهم في سنة ١٩٥٥ .

أما أعماله خارج الجمهورية فتشمل :

١ - عدة محاضرات ألقاها في سنة ١٩٥٩ في أكاديمية العلوم ببودابست بالمجر وجامعة فيينا بالنمسا .

٢ - والاشتراك المشرف في عدة مؤتمرات دولية أهمها المؤتمر الدولى للكبارى والمنشآت بزيورخ سنة ١٩٢٨ ثم بباريس وبرلين ولييج وكمبرج واستكهلم في ١٩٣٢ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ ، ١٩٥٢ ، ١٩٦٠ على التوالى :

كما دعى إلى المؤتمر الدولى لأساتذة الجامعات بفيينا سنة ١٩٥٤ وميونخ سنة ١٩٥٦ :

وقد نال جائزة الدولة التقديرية للعلوم سنة ١٩٦٨ .

وفي مجال الخدمات القومية أحب أن أنه بيبعض نشاطه فهو :

١ - عضو مجلس إدارة معهد أبحاث البناء ؛
٢ - وعضو مجلس إدارة المؤسسة العامة للطيران .

٣ - وعضو اللجنة العليا لأبحاث الفضاء الخارجى .

٤ - وعضو المجلس الأعلى للجامعات :

٥ - وعضو مجلس إدارة جامعة الأزهر :

٦ - وعضو ومقرر لجان فحص جوائز الدولة التشجيعية .

كما اشترك في عضوية لجان تطوير التعليم الجامعى وكانت آراؤه ومقترحاته في دستور

الجامعات ونظمها ولوائحها مرجعا في كثير من التعديلات والإصلاحات .

والنسمة الطبيعية لما سبق هي الإشارة إلى مكانته العلمية العالية وسأحدث عنها في إيجاز :

للأستاذ الدكتور الدمرداش مدرسة خاصة في بحوث الإجهادات الناشئة عن العزوم في الشبكات الإطارية وفي الاعتبار الإطارية، كما عالجت بحوثه المنشورة في الداخل والخارج حساب العقود المشدودة، والاعتاب المقواة، والإطارات المقفلة، والإجهادات في أركان الإطارات والهياكل الإنشائية وحساب الكبارى المتحركة والانبعاج وغير ذلك من البحوث العلمية :

وقد تخطت شهرته العلمية حدود بلاده فورد اسمه في بعض المراجع العلمية العالمية كالمرجع الذي أصدره الدكتور شليخبر Prof. Dr. Schleicher مع نخبة من كبار الأساتذة في يوليو سنة ١٩٥٥ كما نوه به الدكتور شتوسى Prof. Dr. F. Stüssi رئيس الجمعية الدولية للكبارى والمنشآت في كتابه عن الإنشاءات المعدنية الذي صدر في زيورخ : وذكره كذلك ريجنالد رينولدز : Reginald Reynolds في كتابه Beware of Africans الذي طبع في لندن في سنة ١٩٥٥ :

أ وهو يجيد اللغة الألمانية لإجادة تامة وبها كتب أكثر بحوثه كما يجيد الإنجليزية والفرنسية :

ومع هذا قائمة تحتوى على واحد وثلاثين من بحوثه العلمية الضخمة التي أصدرها باللغات الأوروبية المختلفة :

وتبقى بعد ذلك كله شخصية الدكتور الدمرداش وسأمتس بعض جوانبها التي تكشف لي في أثناء عملي معه كعميد في جامعة القاهرة لعدة سنين .

كان أول ما لفت نظري أن الدكتور الذى نشأ هذه النشأة لم يخضع لإغراء ظواهر المدنية الحديثة بل ظل محتفظا في قرارة نفسه بالروح الدينية العالية، فكان في جميع ظروفه محافظا على الشعائر الإسلامية محافظة صادرة عن إيمان عميق راسخ ، وكان بوجه خاص مواظبا على أداء الصلاة في أوقاتها مهما كانت الظروف المحيطة به، ولم يرعنى بالإضافة إلى هذا إلا سعة اطلاعه على الدين وعمق إدراكه لأصوله والكثير من فروعه :

أما الأمر الذى أثار دهشتي فهو مكانته الأدبية فإنه مع تذوقه للأدب العربى ودقة إحساسه بالجمال الأدبى حتى في أخفى صوره، قد جمع إلى ذلك موهبة خاصة نادرة فيمن كان في مثل ظروفه فالدكتور الدمرداش شاعر ، وأحب أن أنوه هنا بمستواه الشعرى :

فلذا كان أسلوبه في صحته ورقته وسموه يثير الدهشة ، فإن معالجته للموضوع الذى ينظم فيه الشعر تكشف للناظر عن براعة فنية قليلة النظير ، فهو حينما ينحدر إلى أعماق النفس البشرية يرى أدق حركاتها العاطفية

وأخفاها بوضوح تام ، ثم يكسوها من بيانه
حلة سندسية تم عن أدق معالمها وأعرق
تطوراتها :

وقليل منا من يعلم أنه أودع الأوراق
مجموعة صالحة من هذا الشعر الفريد ، أرجو
أن يتاح له نشرها في المستقبل القريب
إن شاء الله :

أما إذا ذكر الوفاء ورعاية الحقوق فإنه
يقدم في كل ذلك أمثلة رائعة تركت في
نفوس إخوانه وزملائه أثراً عميقة باقية ،
وقد كان أروع ما رأيته منه أنه في العهد
الحديد كان يحرص أشد الحرص على أن يتقدم
لمجلس الجامعة في كل انعقاد تقريباً بثبت
ظويل من أسماء الخريجين الممتازين يطلب

تعيينهم معيدين في الكلية . وقد حملتني دهشة
من كثرة العدد وأنه يفوق لاحالة حاجة الكلية
على أن سأله : ماذا تقصد بهذا ؟ فكان جوابه :
إننا مقبلون على عصر إنشاء في جميع ميادين
الحياة الصناعية والهندسية وسنحتاج لاحالة
إلى عدد كبير من المهندسين ، للقيام بهذه
الأعباء الكثيرة المتنوعة ، فمن الخير أن نسبق
الحوادث ، ونعد العدد الكافي من المهندسين
الأكفاء الضروريين ، للقيام بهذه النهضة
العمرائية الواسعة :

هكذا كانت غيرته على المصلحة العامة
في مجال المهمة الموكولة إليه ، ومساهمته
المخلصة المثابرة في تقديم أوسع الخدمات الفنية
لأتمته وبلاده ، في ساعة نهضتها ووقت حاجتها ،

البحوث العلمية المنشورة
للأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش

1. "Beitrag zur Berechnung der Biegespannungen in Dreieck-Fachwerken mit und ohne Hilfssystem," Gebr. Leemann AG, Zürich, 1931.
2. "The Problem of Load Distribution on Floors," Year's Book of the Civil Engineering Society, Royal School of Engineering, Giza, 1935.
3. "Das Stahlgerüst für den Umbau der Mohammed Ali Moschee auf der Citadelle zu Kairo", Mitteilungen der Internationalen Vereinigung für Brückenbau und Hochbau, 1936.
4. "The Bending Stresses in the Members of a Truss due to the Rigid Connections at the Joints", Gebr. Leemann AG, Zürich, 1937.
5. "The Effect of a non-uniform change in the Temperature of a Truss", Year's Book of the Civil Engineering Society, Royal School of Engineering, Giza, 1937.
6. "First All-Welded Steel Structure in Egypt," the Welder, London, 1937.
7. "Welded Steel Shed used for the Egyptian State Railways at Nuzha", Alexandria, The Welder, London, 1938.
8. « الإجهادات الناشئة في شكاالات الريح نتيجة للتغير في أضلاع الكمرات الرئيسية »
المؤتمر الهندسي العربي بالقاهرة عام ١٩٤٥ .
9. "The Stresses due to a non-uniform Change in the Temperature of a Truss", Volume IX, Publications of the International Association of Bridges and Structural Engineering, 1949.
10. "Statics of the Vierendeel Girder" Volume XII, Publications of the International Association of Bridges and Structural Engineering, 1952.
11. "The problem of Web Buckling in a Plate Girder Section", Engineering Magazine, Cairo, 1952.
12. "The Vierendeel Girder with Equal Chord Stiffness", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1953-54.
13. "The Design of Bow-String Girders and Tied Arches", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1954-55.
14. "Determination of Bending Stresses in Triangular Framed Structures by Elastic Weights and Couples", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1956-57.
15. "The Continuous Vierendeel Girder", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1956-57.

16. "Der Durchlaufende Rahmenträger", Volume XIX, Publications of the International Association of Bridges and Structural Engineering, 1959.
17. Re-"Buckling of Struts of Variable Bending Rigidity", Discussion of Paper 58-A-39, Journal of Applied Mechanics, The American Society of Mechanical Engineers, 1959.
18. "Der Rahmenträger", Vortrag im Ausseninstitut der Techn. Hochschule in Wien, am 14. X. 1959.
19. "A Kerettartók (Vierendeel-Tartók)", Lecture delivered in the Hungarian Academy of Science, Budapest, 1960.
20. "Solution of the Vierendeel Girder by Joint Relaxation and Member Slopes," Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University 1959-60.
21. "Zur Berechnung des Rahmenträgers," Der Bauingenieur, Heft 4, 1961.
22. "Re-Buckling Tests on Plate Girders", Theme VI. Sixth Congress, International Association of Bridges and Structural Engineering, Stockholm, 1960.
23. "The Method of Joint Relaxation and its Application to Vierendeel Girders", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1960-61.
24. "Vereinfachte Berechnung des Balkens mit Stabbogen", Mitteilungen der technischen Kommission, Schweizer Stahlbauverband, Heft 42, 1962.
25. "The Method of Alternating Relaxation", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1961-62 .
26. "Fixed-End Struts of Variable Section", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1965-66.
27. "Deformations of the Vierendeel Girder " Journal of the Egyptian Society of Engineers, Vol. VIII, No. 1, 1969.
28. "Stresses in Vierendeel Girders " Journal of the Egyptian Society of Engineers, Vol. VIII, No. 3, 1969.
29. "The Bow-String Vierendeel Girder", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1966-67.
30. "Analysis of Orthogonal Grid-Works", Bulletin of the Faculty of Engineering, Cairo University, 1967-68.
31. "Elastic and Limit States Design", ASCE-IABSE International Conference on Planning and Design of Tall Buildings, Lehigh University, Bethlehem, Pennsylvania, U.S.A., 1972.

◆ ◆ كلمة الدكتور ابراهيم الدمرداش

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة الأجلاء

أحمد الله على آلائه وأصلى على أنبيائه ،
ثم أذكر من ذكرني بالخير ، وأشكر له أن
زكّاني لدى الغير ، كما أذكر وأشكر لمن
تبع نصحه وتوصيته وأولاني صوته وثقته ،
حتى وقفت ببابكم طالباً ومريداً ، ودلفت
إلى محرابكم عضواً جديداً . يسّركم الله تعالى
لليسرى ، وآتاكم من فضله الحسنى ، وحفظ
العربية ذكراً ، والعروبة فخراً ، والعرب
ذخراً ودهراً . آمين

أيها السادة الأجلاء

لو كانت لي الخيرة ، لما تردّيت في
الخيرة ، ولأشرت بالبنان إلى إبراهيم اللبّان ،
ليكون لي رائداً في مجيئكم ، ودليلاً في
إحلبتكم ، فهو مثال الرجل الكامل ، والعالم
الفاضل ، ولقد حقق الله تعالى رجائي ،
واستجاب لدعائي . وهاهو بالأمس يزكّيني ،
ويقوم اليوم بتقديمي . جزاه الله تعالى عني
كل خير ، ورضى عنه وأرضاه . آمين .

أيها السادة العلماء

الرسم لغة المهندس ، فهو يؤثر الأشكال
على الأقوال ، ويرصد وحى الخيال بالمنظور

والظلال ، ثم يعطى فكره للناس ، هندسة في
قرطاس : وأنّى له أن يصف آلة أو مبنى ،
دون مسقط أفقي ، ومنظر جانبي ، بل قطاع
ثمّ قطاع ، في شتى الأوضاع .

والرسم في الحقيقة تعبير مباشر ، صامت
في ذاته ، ناطق بصفاته ، يدل على نفسه
بنفسه ، فلا يحتاج إلى ترجمان ، وإن أردت
تفسيره بالبيان ، اختلف اللسان ، باختلاف
الزمان والمكان . فللشيء الواحد في كل بلد
اسم ، وفي كل لغة رسم . فإذا سمعت الناس
يتحدثون عنه اختلط الحابل بالنابل ، كأنك
في برج بابل .

من ثمّ تتضح فائدة الرسم كمختصر مفيد ،
لما له من ميزة الإيضاح والتوحيد . والقول مع
بلاغته ، والكلام على فصاحته ، لاغنى لهما
عن الصور والأشكال ، في أغلب الأحوال .
لذلك تجد المعجمات تستعين بالمبنى في تفسير
المعنى ، وتأتى بالرسم لتعيين المسمى .

والفكرة والوحى والخيال ، هي مصدر
الرسم والكتابة والكلام : إلا أن طريقها إلى
الرسم أقصر ، وإلى الكلام أطول ، وإلى
الكتابة أطول وأطول . ذلك أن اللفظ ترجمة
للمشاهدة ، حسية كانت أو معنوية ، والكتابة

ترجمة لهذه الترجمة . ومن ثم تنضح صعوبة النقل من لغة إلى لغة .

فإنك تصيد الفكرة بإدراكك ، وتسعى جاهداً في التعبير عنها بحركات لسانك ، ثم تقيدها بتسطير بنائك ، وكلاهما عرف عند بني قومك . والدليل على ذلك ، أن كلامك لا يفقهه غيرهم ، وتكتابتك لا يفهمها من ليس منهم . فهي مجموعة من الأصوات والرموز ، لاتدل دلالة مباشرة على المقصود منها . فإذا جاء غيرك وقرأها ، وبطريقته فهمها ، ثم حاول نقلها إلى لغة أخرى لفظاً وخطاً ، وليس اللفظ كاللفظ ، ولا الخط كالخط ، فهل تعتقد أن من قرأها بعد ذلك ، يدرك ما أردت ، ناهياً عما أدركت ؟ هذه هي الترجمة ، وتلك خطواتها ، وما يكتنفها من عقبات .

وأود في معرض الحديث عن اللفظ والخط ، أن أشير إلى تلك المحاولات العقيمة ، التي تدعو إلى كتابة الفصحى بالأحرف اللاتينية ، كما فعل غيرنا بلغتهم الشرقية ، والفارق بين الحالتين كبير . فالعربية لغة أصيلة ، ذات تاريخ قديم ، وتراث جرم ، من نثر وشعر وسحر بيان . فهل يحق لبنها ، أن يتنكروا لماضيها ، ويجعلوا من الحرة العربية ، تجارية أعجمية ؟ كلا ! وهل تعدل الحروف اللاتينية حلاوة الخط العربي ؟ يا قوم ! ما أجمل النسخ وأحلى الثلث ، وهل بعد الرقعة من اختزال ؟

ثم من يقول بأن الحروف الأعجمية تحكى النطق العربي الصحيح ؟ وتفصح كحفص ، فتحسن تلاوة القرآن الكريم ؟ إني على يقين من أن هذا الاتجاه السقيم ، سيبعدنا جيلاً بعد جيل ، عن لغتنا العربية ، والذكر الحكيم .

ومن هذا القبيل ، قول بعضهم : إن العربية الفصحى صعبة المراس ، ومن ثم فليأثمهم يؤثرون النزول بها إلى مستوى اللهجات الدارجة ، التي تختلف زماناً ومكاناً ، والتي من شأنها ، أن تباعد بين الشقيقتين العربيتين ، فوق أنها لاتكتب ، ولاتكفي لدقة التعبير . والأحرى بنا أن نصوب هاتيك شيئاً فشيئاً ، حتى ترتفع إلى الفصحى ، فنجمع بذلك الشمل على سواء .

ومن المشاهد أن أكثر الدول تقدماً ، هي التي تكتب كما تتكلم ، ولا تختلف لهجاتها إلا قليلاً . ومن شأن مجمعكم الموقر أن يعمل على تيسير العسير ، والنهوض بالدارجة رويداً إلى الفصحى وتقارب اللهجات ، توثيقاً للصلات ، وعلى الله قصد السبيل .

إننا لآنناذى بلزوم ما لا يلزم ، ولما كننا نقول بوجوب الاهتمام بتعليم الفصحى ، والعمل على استخدامها . فوحدة اللسان ، هي السبيل إلى وحدة القلب . وإذا جمع القرآن الكريم بين أفئدتنا ، فلتجمع الفصحى بين ألسنتنا ، والمرء بأصغريه : قلبه ولسانه ، أى إيمانه وفصاحته .

وعندما نودى بالتعريب ، رأيت كثيراً من الناس يشرحون بالعامية ، ويبقون على المصطلحات الأعجمية ، حتى أسقط في يد السامعين ، واقتصروا على السمع دون التدوين . والتعريب الصحيح هو أن تنطق بالفصحى شرحاً ومنتناً ، وأن تكتب بها كذلك . وهنا تبرز للعيان ، حاجتنا إلى التوحيد . وتلك مهمة المجمع التي هو بالغها بإذن الله تعالى .

أيها السادة العلماء :

يركن المهندس إلى الأعداد والأرقام ، لتحديد الأبعاد والأحجام . والأرقام عشرة ، وهى أقل من حروف الهجاء ، ولكن تباديلها وتوافيقها لا تحصر ، وتتعدى جموع الحروف والكلمات . إذ أن الأخيرة ترتبط بالمعنى فلا تتعداه ، أما الأولى فهى طليقة ، تصغر إلى النهاية ، وتكبر إلى ما لا نهاية .

ومن عجب أن الصفر ، وهو لا شيء ، إذا كان من أهل الشمال ، أدركه الإهمال ، أما إن كان من أصحاب اليمين ، فهو حسنة تضاعف إلى عشرة أمثال . ومن تواضع العرب ، أنهم ينعنون الأرقام العربية ، بقولهم إنها هندية . وقد أجمع العالم كله على أنها عربية ، خلافاً للرومانية . ولولا تلك الطريقة العربية المثلى ، لما قامت للعلوم نهضة . فالطريقة الرومانية لكتابة الأعداد سقيمة عقيمة ، تحد ولا تنطلق ، ولا تصلح لعمليات الحساب البسيطة ، ناهيك بالرياضة الحديثة .

ومن المأثور عن العرب ، أنهم أول من استخدم الجبر ، وكانوا يسمون المجهول الذى يراد تعيينه « الشيء » ، ويرمزون إليه بحرف « الشين » . فلما فتحوا الأندلس ، ونقلوا علومهم إليها ، لم يجد الإسبان فى هجاءهم ، ما يقرب نطقاً من « الشين العربية ، إلا الحرف اللاتينى « x » . ومن ثم انتقل هذا العرف إلى كافة الغرب ، ومازال إلى اليوم ، رمز الشيء المجهول فى علم الجبر .

أيها الأدباء العلماء :

إن الأدب حرفة الأدباء ، ولكنه متعة غيرهم من العلماء ، وهو أكبر من أن يكون صنعة فحسب ، فهو متعة روحية ، وغاية ثقافية . وإن فى اختيار مجمعكم الموقر ، غير اللغويين لعضويته ، معنى سامياً رفيعاً . فهو يدل على إيمانكم الحق ، بالأغنى للأدب عن العلم ، كما أنه لاغنى للعلم عن الأدب ، وأن الثقافة الكاملة تجمع بين الأخوين .

أيها السادة الأجلاء :

ولد عبد الرزاق السنهورى ، مع من ولد ، بالإسكندرية عام ١٨٩٥ م ، وتوفى مع من مات بالقاهرة عام ١٩٧١ م . ولكنه لم يعيش كما عاشوا ، ولم يميت كما ماتوا . فمن منهم بلغ ما بلغه ، فى علمه وفقهه ، حتى أصبح عالماً من أعلام القانون ، وحجة يرجع إليه وإلى مؤلفاته ؟ ثم من منهم وصل إلى ما وصل إليه ، من مناصب الدولة الرفيعة ، وسكن فى قلوب تلامذته ، وعارفى فضله ؟

إن مثله لم يمت ، فهو قائم بيننا بكتبه ،
وأحكامه وحججه ، وخالد بذكره العاطر
على الألسنة ، وسيرته الحافلة بجليل الأعمال :
وما زال أستاذا لمن يقرأ له ، ومرجعا يستشهد
به .

أجل . لقد كان عبد الرزاق السنهورى
طالبا نابها ، يتم حاضره عن مستقبله . وبعد
أن حصل على إجازة الحقوق بمصر ، سافر
فى بعثة إلى فرنسا ، حيث حصل على الدكتوراه
فى العلوم القانونية ، ثم على للدكتوراه فى
العلوم الاقتصادية والسياسية ، فملك بهما
الناصيتين .

وبعد عودته من بعثته ، التحق بهيئة
التدريس بكلية الحقوق ، وتدرج فى السلم
الجامعى إلى أن أصبح عميدا لها عام ١٩٣٦ :
ثم تقلد منصب القضاء بالمحاكم المختلطة ،
حتى عين مستشارا مساعدا بقضايا الحكومة ،
فوكيلا لوزارة المعارف ، ثم العدل ،
فوزيرا للمعارف عام ١٩٤٥ ، ثم وزيرا

للدولة ، فوزيرا للمعارف مرة أخرى من
١٩٤٦ إلى ١٩٤٩ . وعين بعدها رئيسا لمجلس
الدولة ، وظل هكذا حتى ١٩٥٤ . وقد اختير
عضواً بالمجمع عام ١٩٤٦ .

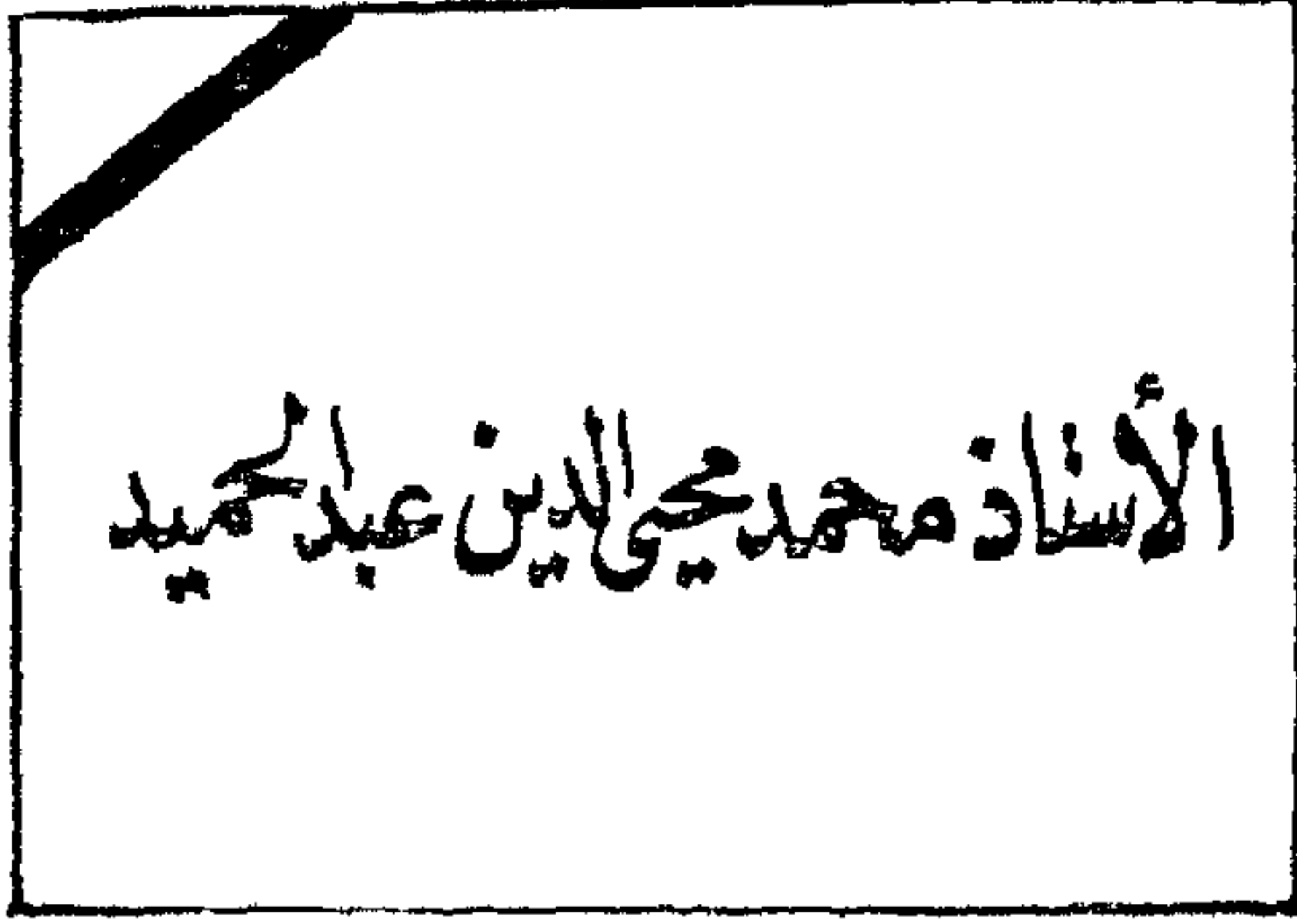
وكانت له اليد الطولى فى وضع كثير من
قوانين مصر ، والدول العربية الشقيقة . وله
من المؤلفات القانونية مايجل عن الحصر ،
من مراجع العصر . هذا وقد رأس وفد مصر
فى كثير من المؤتمرات العالمية ، وهيئة الأمم .
كما كان رئيسا للجنة الثقافية ، فى جامعة
الدول العربية .

ذلك عبد الرزاق السنهورى الذى فقدته
المجمع بالأمس ، وهو يفتقر إليه اليوم ،
والذى أردتم أن أتبوا مكانه بينكم ، فحق
لى أن أذكره وأشكر لكم ، فقد برّى بعد
موته ، وأضاف لنفسه حسنة فى آخرته .
فسلام عليه فى الأخيرين .

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب
العالمين :

في الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين ٢١ من صفر سنة ١٣٩٣ هـ
(الموافق ٢٦ من مارس سنة ١٩٧٣ م) أقام المجمع حفل تأبين للمغفور له
الأستاذ الشيخ محمد محيي عبد الحميد عضو المجمع ، وفيما يلي ما ألقى :

كلمة الأستاذ عبد السلام هارون في تأبين المغفور له :



ما تكون المصاحبة ، وعرفته أبين ما تكون المعرفة
وجمعت بيني وبينه رابطة من روابط المصاهرة
منذ زمان بعيد ، كان بها لي اعتزاز ؛ لأنها صلة
برجل فاضل وإمام عالم نبيل .

كان مولد الفقيد بين نهاية القرن التاسع
عشر ومشارف القرن العشرين في قرية كفر
الحمام من إقليم الشرقية ، ونشأ والده الأزهرى
تنشئة دينية ، فحفظ القرآن الكريم أول ما حفظ
ودرس الدراسة الأولية في قرينته الصغيرة ،
ثم التحق بمعهد دمياط الديني يطلب العلم حين
كان والده قاضيا بفارسكور ودمياط ، ثم انتقل
إلى معهد القاهرة بانتقال والده إليها ، لتقلد
منصب المفتي لوزارة الأوقاف . وحصل على
شهادة العالمية النظامية مع أول فرقة نظامية
في سنة ١٩٢٥ فانتظمت به مع زملائه هذه
الباقية الأولى من النظام الجديد للأزهر ، وكان
هو الزهرة الأولى في تلك الباقية السعيدة .

سيادة الرئيس :

زملائي الأجلاء :

سيداتي وسادتي :

في غربة عن الدار والوطن تلقيت نعيه فبدا
على الخزع وكأني لم أسمع بهالك من قبل ،
ونسيت في غمرة المفاجأة وهول الصدمة سنة
الحياة منذ خلق الله الدنيا .
وقلت لعبد الله إذ حن باكيا :

تعز وماء العين منهمر يجري
تعز فإن كان البكا رد هـ الكا

على أحد فاجهد بـ كاك على عمـرو
وتلقيت فيما بعد كتاب المجمع يدعوني إلى
أن تكون لي كلمة في تأبين الفقيد ، وأشهد
لكأني قد تلقيت فيما تلقيت نعيًا جديدًا للفقيد
نكأ الجرح ، وأثار كامن الحزن ودفن الأسى .

ويشهد الله ما ترددت في قبول الدعوة ،
حرصا مني على الوفاء لرجل صاحبه أطول

وهنا يكمن السر في أن فقيدنا العالم الجليل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد كان من طراز هيئت له الأسباب ليرز في تكامل متناسق ، وكان - غفر الله له - ينوه بذلك ويفخر ؛ ويعتز به اعتزازاً .

كما كان لنشأته في بيئة علمية ، تغمرها الثقافة الإسلامية ، ذلك الأثر في إمامته العلمية التي ظلت ردحا طويلا من الزمان تؤتي ثمارها في أرجاء الجامع الأزهر ، وتخط السطور تلو السطور في تاريخ نهضته الحديثة .

فنحن نرى الفقيد لأثر تخرجه يتلقفه معهد القاهرة مدرسا به ، فإذا ما أنشئت كليات الجامع الأزهر في سنة ١٩٣١ نجده على رأس المختارين للتدريس في كلية اللغة العربية ، وهو امتياز لم يحصل عليه بعض أساتذته وشيوخه .

فإذا أطلت سنة ١٩٣٥ وهي السنة التي أنشئ فيها قسم الدراسات العليا بالجامعة الأزهرية كان من الصفوة المختارة للأستاذية فيه واستطاع في خمس سنوات قضاها فيه أن ينشئ جيلا من أساتذة اللغة العربية يعتز بهم الجامع الأزهر ، ويذكرون له ذلك الأثر البارع في الإرشاد والتوجيه .

وعند ما فكرت حكومة السودان في إنشاء دراسة في الحقوق في كلية غوردون ، وذلك في سنة ١٩٤٠ ؛ اختارت الفقيد بعد تمنع منه وإباء ، ليشترك في وضع مناهج العلوم الشرعية فقام بوضعها على أساس وطيء ، موشارك في تدريس هذه المناهج زهاء أربع سنوات ، وألف في

ذلك كتابا لاتزال إلى يومنا هذا مرجع طلاب كلية الحقوق .

وفي تلك الفترة التي قضاها سفيراً علميا ناجحا موفقا في السودان سعى إليه عارفو فضله ، وأكسب على حضور مجالسه كثير من تلاميذه الذين وثبوا فيما بعد إلى أعلى المناصب ، وظلوا محتفظين له بالتبجيل والإعزاز والصلة الوثيقة والعرفان بالفضل إلى يوم لقائه ربه . فقد كان من خصائص فقيدنا أن يحسن استمالة الفضلاء إلى مجالسه ، وكان يحسن احترام الناس فيحسن الناس احترامه ، ويجيد توثيق الصلة والمودة بينه وبين من يعرفه حين يلتمس فيه الفضل ، أو يلتمح منه بارقة نبوغ ، فإذا الصلة قرابة ، وإذا المودة وشيعة من وشائج النسب . . . ولقد حفظ هناك كرامة بلده ، وهيبته منصبه ، وكان له نفوذ العلماء المبهجلين الذين تسمو بهم أقدارهم فوق كل أقدار .

وفي سنة ١٩٤٣ عاد من وفادته العلمية في القطر الشقيق إلى كلية اللغة العربية حيث عين وكيلا لها ، وكان له أثر واضح في تطويرها ، وإعلاء شأنها ، حتى إذا كانت سنة ١٩٤٦ عين مفتشا بالمعاهد الدينية ، وظل في هذا العمل إلى سنة ١٩٤٨ إذ عين أستاذا بكلية أصول الدين ، فكث بها زهاء أربع سنوات حتى اختير مديرا لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية . وبعد انقضاء سنتين على هذا عين في سنة ١٩٥٤ عميدا لكلية اللغة العربية ، وظل شاغلا

لهذا المنصب العلمي خمس سنوات، كانت أزهى عهود هذه الكلية وأضوأها . . . فالمعروف عن الفقيد أنه كان نصيراً للتجديد في حدوده المعقولة ، كما كان من أعداء الجُمُود الذي لا يقوم على ساق . كان حركة ونشاطاً ، وكان انطلاقا وتوثبا .

وعاد بعد هذه السنوات إلى الأستاذية بكلية أصول الدين خمس سنوات، رجع بعدها مرة أخرى عميداً لكلية اللغة العربية من سنة ١٩٦٤ إلى ١٩٦٥ حين بلغ سن التقاعد . وفي أواخر سنة ١٩٦٤ اختير عضواً بمجمعنا هذا، وكان حفل استقباله في الثاني والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٦٥ . ولتنوع خبراته وتعدد نشاطه كانت له مشاركة في عدة لجان : لجنة المعجم الكبير ، ولجنة الأصول ، ولجنة إحياء التراث القديم ، ولجنة الأدب ، فكان بادي النشاط والدعوى غير مبال باعتلال صحته أو حقوق بدنه ، حقيقياً بعمله سخياً بوقته إلى اليوم الأخير من حياته الحافلة .

ولإخوانه في هذا المجمع يعرفون فيه ما كان له من سماحة شيمة ونبل خلق ، ونفس طيبة تتجافى عن العنف إلا في الحق ، وتستمسك بالإنصاف والوقار الذي لا تشوبه شائبة من شوائب التكليف أو التصنع . وإذا ما عنت قضية مشكلة تدبرها في تواضع العالم ، وتكلم فكان قوله الفصل في كثير من مشكلات اللغة والعلم .

لقد طبع الفقيد منذ نشأته على التحقيق والتبحر في العلم ، وحسن الفهم لما يعالجه من أمور : ومما لا يعرفه من لم يمت إليه بسبب وثيق أنه قام في مقتبل شبابه أزمان طلبه العلم بالأزهر بعمل أدبي جليل ، هو شرح مقامات بديع الزمان الهمداني ، وهو شرح مسهب مستفيض ، مشحون بغرر الفوائد وتفسير الإشارات الأدبية والتاريخية بما ينم عن مقدرة بارعة ، ورعة متدرة في تلك السن التي قلما أن ينضج فيها علم عالم ، وهي سن الحادية والعشرين .

وقد صدر هذا الشرح بإهداء إلى والده المغفور له الشيخ عبد الحميد إبراهيم مفتي الأوقاف العمومية إذ ذاك ، وقال في هذا الإهداء :

« سيدى الوالد :

إلى نفسك الطاهرة وحكمتك العالية ، وأدبك الجهم وفضلك الغزير ، أقدم كتابي هذا . . لقد ربيتني على الفضيلة ، وحببتني إلى العمل ، وزهدتني في الدعة والوئى ، وعند الله في ذلك جزاؤك ، فليس بيدي شيء منه ، ولا في استطاعتي أن أناله ولو رقيت أسباب السماء . ولكنني أتقدم إليك بكتابي هذا برهانا على أنك غرست فأثمرت وبذرت فأثمرت ، ودليلا على أن غراسك سيزداد نمواً بمر الأيام ، إلى أن يوئى أكله مرتين بإذن الله » .

صورة من صور الوفاء ، ونموذج من نماذج بر الأبناء بأبائهم ، واحتفائهم بالنزوي بفضلهم عليهم في حسن تكوينهم وتقويمهم . وقد حقق الشيخ مأمول والده فيه ، كما حقق أمل نفسه بنمو غراسه ، نموا يعد نادراً فريداً فيما ألف الناس من إنتاج العلماء المثابرين ، فبين يدي زهاء ثمانين عنوانا لكتب يربو عدد صفحاتها على عشرات الألوف . أقولها غير مبالغ ولا متزيد : وهذا خلافاً ما غاب عنى حصره ، وما لم أستطع تقصيه وتبعه . . ومما يخرج عن نطاق هذا الحصر ما صنعه من العناية بنشر شرح ابن يعيش على المفصل في عشرة أجزاء لم يرقم عليها اسمه ، ولم يدخلها في حساب ما قام على نشره من أمهات الأصول . لقد كان الولوع والشغف بإحياء التراث العربي يسرى في عروقه كما تسرى دماء الفداء في شرايين أجناد الكفاح ، وفي ذلك يقول طيب الله ثراه :

« وكان الذي دفعني إلى أن أختار هذا الطريق : أن عملي الأصيل في الجامع ثم جامعة الأزهر كان أعظم عناية بعناية هذه المؤلفات ، وأنني أردت أن أضع بين نابتة البلاد العربية هذه المؤلفات في صورة دقيقة الإخراج ، ومعها شروح قريبة المنال ، ليقبلوا على هذا التراث الذي لم يكن يبعد عنهم سوء الإخراج واستغلاق عبارات الشروح » .

ويكفيه فخراً في النحو ويكفي النحو فخراً به أنه عالج معظم كتبه المتداولة ، لتيسر دراستها

وتذليل القراءة والبحث فيها ، بدءاً من الأجرومية وانتهاء بشرح الأشموني للألفية ، وشرح ابن يعيش للمفصل : ولا يزال كثير منا نحن أعضاء هذا المجمع الموقر ، يرجع إلى كتاباته وتعليقاته ، وإلى هذا المدد الزاخر من المكتبة النحوية التي نقلها من ظلام القدم إلى نور الجدة والشباب :

لم يكن الفقيه العزيز نحويًا فحسب ، بل كان مشاركاً في مختلف العلوم الإسلامية الدينية منها وغير الدينية ، ففي مجال الفقه الإسلامي نجده يؤلف في الأحوال الشخصية ، وكتابه فيها يعد مرجعاً من المراجع الجلية ، ويؤلف في أحكام الموارث كتاباً يعد مرجعاً . مجتازاً ويؤلف (سبيل الفلاح في شرح نور الإيضاح) ، ويلتزم الباب للميداني في شرح الكتاب : كتاب القدوري . بل نجده يؤلف في غير مذهبه الفقهي (الدروس الفقهية على مذهب السادة الشافعية) و (الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع) .

وفي أصول الفقه يحقق الموافقات في أصول الأحكام للشاطبي ، ومنهاج الوصول في معرفة علم الأصول ، والمسودة في أصول الفقه ، التي تتابع على تأليفها ثلاثة من أئمة آل تيمية . وفي الفتاوى : الحاوي للفتاوى للسيوطي :

وفي الحديث يحقق سنن أبي داود ، والترغيب والترهيب للمنذري . وفي مصطلح الحديث يشرح ألفية السيوطي . وفي التوحيد يشرح جوهرة التوحيد للشيخ اللقائي ،

ويكتب تعليقا علميا على رسالة التوحيد للإمام محمد عبده . وفي علم الكلام يحقق مقالات الإسلاميين للأشعري ، والفرق بين الفرق للبغدادى . وألف مختصرا في أدب البحث والمناظرة يعد بحق أجمع وأيسر ما كتب في هذا العلم .

وفي علوم البلاغة يبعث معاهد التنصيص للعباسي ، وكذلك المثل السائر لابن الأثير ، ويؤلف تهذيبا لشرح السعد .

وفي اللغة : أدب الكاتب لابن قتيبة ، وجواهر الألفاظ لقدامة ، وهو أكبر موسوعة في معاجم الأساليب . وفي مراجع الأدب القديم : يتيمة الدهر للثعالبي ، وزهر الآداب للحصري ، ومجمع الأمثال للميداني ، والعمدة لابن رشيق .

وفي دواوين الشعر : شرح ديوان عمر ابن أبي ربيعة ، وشرح ديوان الشريف الرضي ، وشرح حماسة أبي تمام للتبريزي . ويعلق على شرح المعلقات للزوزني ، وشرح القصائد العشر للتبريزي .

وفي التاريخ الإسلامي : سيرة ابن هشام ، ونفح الطيب للمقري في هشة أجزاء ، ومروج الذهب للمسعودي في أربعة أجزاء ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي .

وفي الجغرافيا العربية ينشر : وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للسهمودي ، وغير ذلك . فالأمر كما قلت يخرج عن حد الإحصاء

السكامل ، هو صورة حياة مجاهدة مصابرة مرابطة ، مشغوفة بالعلم أينما وجد ، وبالمعرفة حيث يلعب نورها أو يسطع ضوءها . وفي هذا شاهد صدق على التكامل العلمي الذي قل أن يتاح لعالم واحد .

ليس على الله بمستنكر

أن يجمع العالم في واحد ولقد رأيت رحمته الله مع هذا كله يواظب على قراءة كثير من الكتب الحديثة قصارها وطوالها فلايكاد يفوته جزء من أجزاء سلسلة اقرأ وأخواتها ، من منشورات دار المعارف ، أو منشورات دار الهلال ونحوها .

جلد صارم وشغف عارم واستنارة دائمة واستفادة دائمة ، فليس لي في هذا المقام إلا أن أردد ما قاله فيه من قبل زميل لنا كريم اختاره الله إلى جواره هو العلامة المغفور له الشيخ محمد علي النجار :

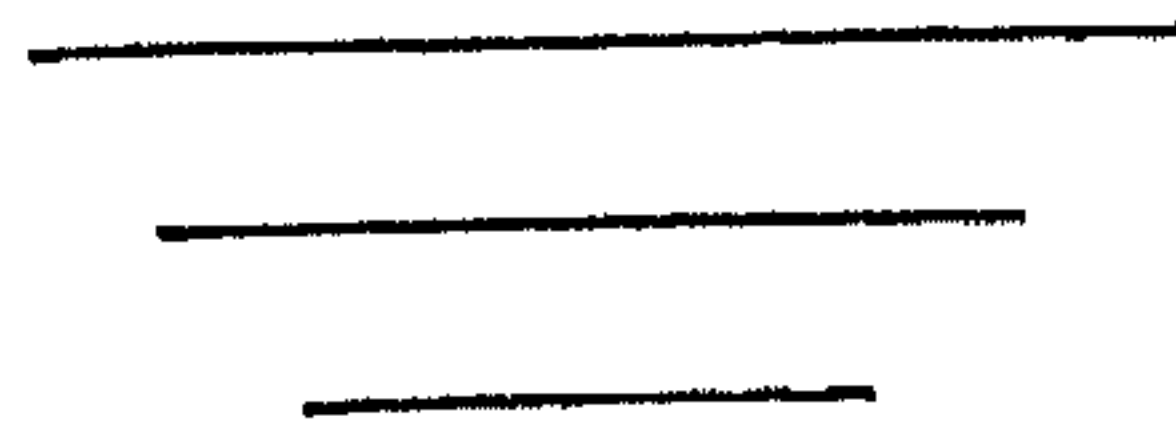
« لقد قيل في الطبري : إنه كان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن ، وكالحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالحنوي الذي لا يعرف إلا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب . . . وكذلك يقال في الشيخ محيي الدين : إنه كالحنوي الذي لا يعرف إلا النحو ، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه ، وكالحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالمتكلم الذي لا يعرف إلا الكلام » .

وقد نال - رحمه الله - الحظوة في معظم ما ألفه أو قام على نشره من أمهات الكتب ، فقد كان يفهم مايقول حق الفهم فيؤديه إلى أناس أحسن ما يكون الأداء . . ورزقه الله من حسن البيان ومعرفة التبيين ما جعل الدارسين يهرعون إلى الاستقاء من معينه ، والارتشاف من منهل .

كان الفقيد حركة دائبة عرفها الناس ولم يستطيعوا إغفالها في الهيئات العلمية والدينية والأدبية . فنجده رئيسا للجنة الفتوى ، وناقاه رئيسا للجنة إحياء أمهات كتب السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ثم نجده متوجا بتاج العضوية لهذا المجمع الموقر ، الذي منحه من صحته وجهده وإخلاصه ما جعل فقده خسارة فادحة ورزا جليلا .

إني - وأنا من أقرب الناس إليه ، ومن أعرف الناس بقدره - لا أستطيع إلا أن أستعلن عجزى عن تأبينه وعن تبيان فضله ومآثره ، إلا أن أصنع في ذلك كتابا أظل أنمقه دهرًا . ولكني أراني قد ألقيت شيئًا من الضوء على حياته الحافلة المباركة المفعممة بالتوفيق ، الهادفة إلى خدمة وإسعاد بني وطنه المصري ووطنه العربي ووطنه الإسلامي ووطنه الإنساني .

إن مجمع اللغة العربية ، إذ يودع عضوا جليلا من أعضائه المخلصين ، ليستمطر شآبيب رحمة الله على جدته الطاهر ، ويدعو له بمغفرة الغفور ورضوانه ، وأن يجعله الله في زمرة الشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .



♦ ♦ كلمة الدكتور ابراهيم محمد نجا

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ الجيل الدكتور طه حسين رئيس مجمع اللغة العربية وعميد الأدب العربي .

أساتذتنا الأجلاء ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ، فإنه لي شرفي أن أنوب عن كلية اللغة العربية للوفاء ببعض الحق الذي يجب على أبناء المرحوم المغفور له أستاذنا الفاضل الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد . وإن خير ما أبدأ به قول أبي فراس الحمداني :

سيدكرني قومي إذا جد جددهم

وفي الليلة الظلماء يفترق البدر

أبي وأستاذي :

يقتضي الوفاء أن أجد ذكرك وأن أخلد أثرك ، فالذكر للإنسان عمر ثان ، ولقد أوليت تلك الكلية الفتية رعايتك وحبوتها عطفك وعنايتك ، ولذلك كان الخطب جسيما والمصاب أليما ، ولولا إيمان اعتصم به أبناؤها وبقين راسخ اعتصم به علماءها لما احتملوا هول الفاجعة . ولا اقتدروا على مواجهة المصائب .

أيتها النفس أجملی جزعا

إن الذي تحذرين قد وقعا

إن الذي جمع المروءة (م)

والنجدة والحزم والندى جمعا

الألمى الذى يظن بك الظن (م)

كأن قد رأى وقد سمعا

حقاً إن العروبة فمجعت في ابن من أعز بنينا ، فقدت قلباً نابضاً التاعت لفقدته القلوب وارتاعت لفقدته النفوس ، ولولا إيمان بالله لكان الموقف شاقاً على جميع بنينا .

أبي وأستاذي :

إن اللوعة التي خلفها فقدك والمصيبة التي تركها فراقك جعلت المآقي تذرف الدمع المدرار ، والقلوب يعتصرها الألم كأنه سيف يتار ، وليكننا وقد عشنا في رحاب الأزهر رحاب الدين لا ينبغي أن ننساق وراء تلك العواطف الحزينة التي تلهب النفوس ، ولكننا نرسل بعض الأنات الخافتة الحزينة التي تضم بعض الذكر لأستاذ كرس حياته لخدمة تلك الكلية ، وإنني وقد سمعت من أستاذنا الجيل الأستاذ عبد السلام هارون كثيراً من جهوده وجهاده أحب أن أضم إليها أموراً تحق على الكثير تتعلق بكرامته ، فإنه عاش أبى النفس عزيزاً لا يمكن أن يمكن من نفسه أى إنسان مهما كانت منزلته ؛ دعاه إلى ذلك حفاظه على كرامته ، حفاظه على رجولته ، حفاظه على خلقه . وإن في اختياره أستاذاً لكلية اللغة العربية ولما يبلغ الثلاثين بعد كان ذلك مؤذناً بأن ذلك الرجل الألمى جدير بأن يكون

موطن التقدير والإعجاب : وما كاد عام ١٩٣٥ يبدأ ، وكانت الأمور السياسية في مصر مضطربة ، وكان الأزهر آنذاك معرضاً لبعض الاضطرابات الخطيرة ، قام الأزهر بثورة قوية ناصرها فيها أستاذنا الحليل وعالمنا الفذ الدكتور طه حسين ، فكتب مقالات قوية بعنوان « صبريات » ، لأنه كان يراد إقصاء الجمهرة الغفيرة من أبناء الأزهر وصددهم عن التعليم .

قامت الثورة وكانت ثورة قوية ، ثورة هادفة تهدف إلى تخليص الأزهر من براثن الرجعية ، وإلى النهوض به نهضة قوية ، وكان عماد تلك النهضة أساتذة أجلاء على رأسهم المغفور له الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد .

إنه آنذاك عرضت عليه العروض لكي يمتنع عن مناصرة تلك الثورة ، ولكي يبتعد عن الوقوف بجانب أبنائه ، ولكنه لم تلبس له قناة ولم يخضع لتهديد ولم يأبه لوعيد ، وذلك خلق قوى في تلك الفترة العصيبة التي يدركها الجميع .

ظل أستاذنا على هذا الوضع إلى أن صدر قرار بنقله مدرساً إلى معهد الإسكندرية انتقاماً لموقفه المشرف ، فلم يزد ذلك إلا إصراراً على مناصرة الحق ، وإلا إصراراً على

السير في ركاب الحرية ، وإلا إصراراً على الوقوف في وجه أولئك الطغاة الذين لا هم لهم إلا أن يكتبوا الأنفاس ، ويحمدوا الأرواح الطاهرة البريئة : وقد أراد الله للأزهر أن ينتصر ، وأراد الله أن تعود الدراسة بعد تعطيلها وأن يعود أستاذنا إلى كليته ، موفور الكرامة مرفوع الهامة ، مظلاً لأبنائه بظله الوارف القوى لا يأخذه زهو العلم ، ولكنه كان الأب الحنون العطوف على أبنائه ، بيته بيت الأبناء ، مكتبته مكتبة الأبناء . فكنا نفد إليه نستطلع رأيه ونستفيد من خبرته ونستفيد من تجاربه ، فلم يضمن على إنسان يوماً ما بأى ناحية من تلك النواحي المتعلقة بدراسته . وعندما أنشئت الدراسة العليا كان الرائد الأول لنا والموجه لنفعنا ، ولم نقف جامدين في تلك الدراسة بل إنه وجهنا وجهة لغوية سديدة . كان يأتي إلينا بالموضوعات التي تحتاج إلى معالجة قوية ، كدراسة النحو البغدادي الذي لم يكتب فيه أحد ، ويريد منسأ أن نخرج تلك الأبحاث لتكون نبراساً لتلك الكلية ، يستفيد منها الأبناء ويستفيد منها الجميع ، ولكنه كما قلت - حفاظاً على كرامته - عندما عين وكيلاً لكلية اللغة العربية ، وكانت الكلية آنذاك في حرب ضروس ومعاناة قوية من الداخل والخارج ، إلا أنه ما كاد يتولى أمرها ويسوس شأنها حتى رأيناها يقود السفينة بحكمة

الربان الماهر الحكيم ، فبنى المآزق القوية ويقضى على الفتن التي كادت تقضى على تلك الكلية. وإن أستاذنا الحليل الدكتور عبد الرزاق السهوري ، وكان وقت ذاك وزيراً للمعارف ، رأى بثاقب فكره أن ذلك الرجل جدير بأن يتولى عمادة الكلية ؛ لتفتح ذهنه وتوقد فكره وإمكانه التفاهم مع كل الناس ، ولكنه لم يتمكن من إقناع المسؤولين لما عرف عن فقيدنا الراحل من جرأة في الحق لا ترضى بعض الناس آنذاك ؛ فانتقل إلى التفتيش ونقل من التفتيش إلى أصول الدين ظناً منهم أن ذلك الرجل الذي كرس حياته في علوم العربية لا يمكن أن يجلي في أي ميدان آخر ، ولكنه بحمد الله - وهو الحصيف الرأي القوي البيان المتين الحججة - أهكته أن يكون رائداً في علوم الدين كما كان رائداً في علوم اللغة ، وأن يكون قوياً بين أساتذته مما جعل الجميع يشيدون بفضله ويعترفون بنبيله ، ويرجعونه إلى عمادة تلك الكلية التي أرسى فيها قواعد العدل ، والتي هيأ فيها للجميع حياة مستقرة ، والتي أمكنه بفضل تفتح ذهنه أن يوجد فيها الأقسام المختلفة ، لتتمكن تلك الكلية من متابعة الدرس ومن السير في الدراسة اللغوية والأدبية ، فأنشأ فيها قسماً لأصول اللغة كان هو النواة الأولى فيها والمرجع الأوفى فيها .

إن أستاذنا الحليل ووالدنا الراحل كرس حياته معتزاً بكرامته معتزاً بفضله معتزاً بعلمه ، لم يتمكن أحد من أن ينال منه إطلاقاً ؛ عرضت عليه المناصب وقيل له إنه

يطلب منك أن تقابل بعض المسؤولين ، فأبت عليه عزة نفسه أن تخضع لتلك الرغبة قائلاً أمامنا جميعاً والله يشهد على ما أقول إنني صادق فيه : « إن المنصب إن كانت الدولة تعترف أنني في حاجة إليه فلتسندني إلى ، وإن لم تكن معترفة بي فلا حاجة بي إلى مقابلة أي مسئول مطلقاً » .

لم يقلها رحمه الله غروراً أو تأبياً ، بل حفاظاً على كرامة العلماء ، وعلى كرامة الرجال الذين أثبتوا في شتى العهود السابقة أن رجال الأزهر يجب أن يثبتوا للملا أن الأخلاق الفاضلة وأن الرجولة الحقة هي التي يجب أن تسيطر عليهم ، وألا تغريهم المناصب ، وألا يبعدهم زهو الحياة وبريق المسال إلى الانحراف عن الحادة القوية ، التي سار عليها أستاذنا ، والتي دربنا عليها تدريباً قوياً .

إن أستاذنا الراحل لم يقف عند اللغة وعند الدين ، بل كانت جهوده رغم اعتلال صحته رئيساً للجنة الفتوى في الجامع الأزهر ، وفتاواه قوية ظاهرة ، وحججه واضحة باهرة ، ورياسته للجنة السنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وعضويته لمجمع البحوث الإسلامية - كل تلك الجهود يظن من لا يعرف تلك الشخصية أنه رجل بعيد عن المجتمع . ، ولكنك إذا جلست إليه وتحدثت معه رأيت منه اللغوي الناضج ، رأيت منه الفقهي البارع ، رأيت منه المحدث اللبق ، رأيت منه السياسي المتفتح ، رأيت منه

الاجتماعى الذى يستحق كل تقدير .
فلان بكيناه اليوم ، فلانما نبكى رجلا فاضلا
وعالما فذا ، وأستاذا جايلا يندر أن يجود
الزمان بمثله ، إن الزمان بمثله لبخيل .

أستاذى وأبى :

لأنى فى هذا المقام أذكر لك بعض مالك
علينا من حقوق ، وأرجو الله أن يوفق أبنائك

الذين شمائهم بعطفك والذين أوليتهم رهايتك
أن يسيروا على نهجك ، وأن ينهضوا بتلك
الكأبة القوية التى نأمل أن تكون راعية للغة
القرآن حارسة لها ، والله المشول أن ينزلك
منازل الأبرار والصديقين ، طيب الله ثراك ،
وجعل الجنة مثواك ، وجزى الله المجمع
ورجاله والمقدرين لفضلك خير الجزاء ،
والسلام عليكم ورحمة الله .

.. كلمة الأسرة للأستاذ أحمد نبيل محيي الدين

سيادة الرئيس

حضرات السادة الأفاضل أعضاء مجمع
الخالدين :

يطيب لي إذ أقف في هذا الحشد الخافل
برجالات العلم وشيوخ الأدب وصفوة
الصفوة من قادة هذه الأمة أن أنتقل إليكم
هرفاني وشكري وعرفان أسرة محيي الدين
لما أبدىتموه من كريم المشاعر وما أجزلتكموه
من وفاء وإخلاص نحو راحل كريم جمعه
بكم حبه للعربية ، والتقى وإياكم على مائدتها
فأعطى ما شاء الله له أن يعطى ، وكان يحفظ لكم
دائماً أن منحتكموه ثقفتكم واخترتكموه ليسهم
معكم في إحياء العربية وبعث أمجادها
وعسى الله أن يكون قد وفقكم إلى حسن
الاختيار . . . ولست بسبيل الإطناب في
امتداح أفضالكم فإن من تنزهه صنيعه عن
العلائق أزهد الناس في المدح . . . ولئن كان
رفقاء والدي وإخوانه وتلاميذه قد كرموه
وأظهروا من آيات الوفاء وصوره
ما كان تواضعه الجهم وحساسيته الشديدة

يمنعانه من إظهاره فهي فرصة أبي كرمكم
الوفير إلا أن يجعلكم تمنحونها وهي أن أعبر
عن بعض فضله على . . . فوالدي رحمه الله
رغم وفرة أصدقائه وكثرة عارفه في شتى
البقاع كان له صديق حميم عرفه منذ نعومة
أظفاره ولازمه حتى صعد إلى بارئه ، ذلك
هو الكتاب : فقد ألف الكتاب وألفه الكتاب
حتى لم يترك دنياه إلا وقد غارت بصماته فوق
أكثر من خمسة وسبعين كتاباً هي ما ألفه
وأخرجه ، وأينما كان له مكان مختار فهو
وسط جدران من كتب متراصة وأسفار ،
كتب بقدر ما أضافت إلى علمه الكثير فقد
أثرت منه الكثير ، وحملت بين طياتها
نبضات رنانة من روحه وومضات وضاعة
من كيانه . . . وخطرات لماحة من وجدانه
وإن كان مدحى إياه يلام في حياته ، فلتغفروا
لي أن أثني عليه ثباته في الحق وصرامته في
وجه الباطل ، واعتزازه بما أشرب من مبادئ
الإسلام وتعاليمه وروحه : اعتزازاً يغبطه
أولو النزاهة ويرفضه المتسلطون .

وعونه ، لتعضدوا لغة قرآنه ، وأن يمنحكم
طول البقاء لتبقىوا أبداً مناراً لنا والأجيال
القادمة •

والسلام عليكم ورحمة الله .

حضرات السادة الأفاضل أعضاء مجمع
الخالدين :

إن الكلمات ولا شك تعجز عن الوفاء
بما أحمل إليكم من تقدير وعرفان عسى الله
أن يحسن جزاءكم ويمدكم بمزيد من توفيقه
